

التوحيدى

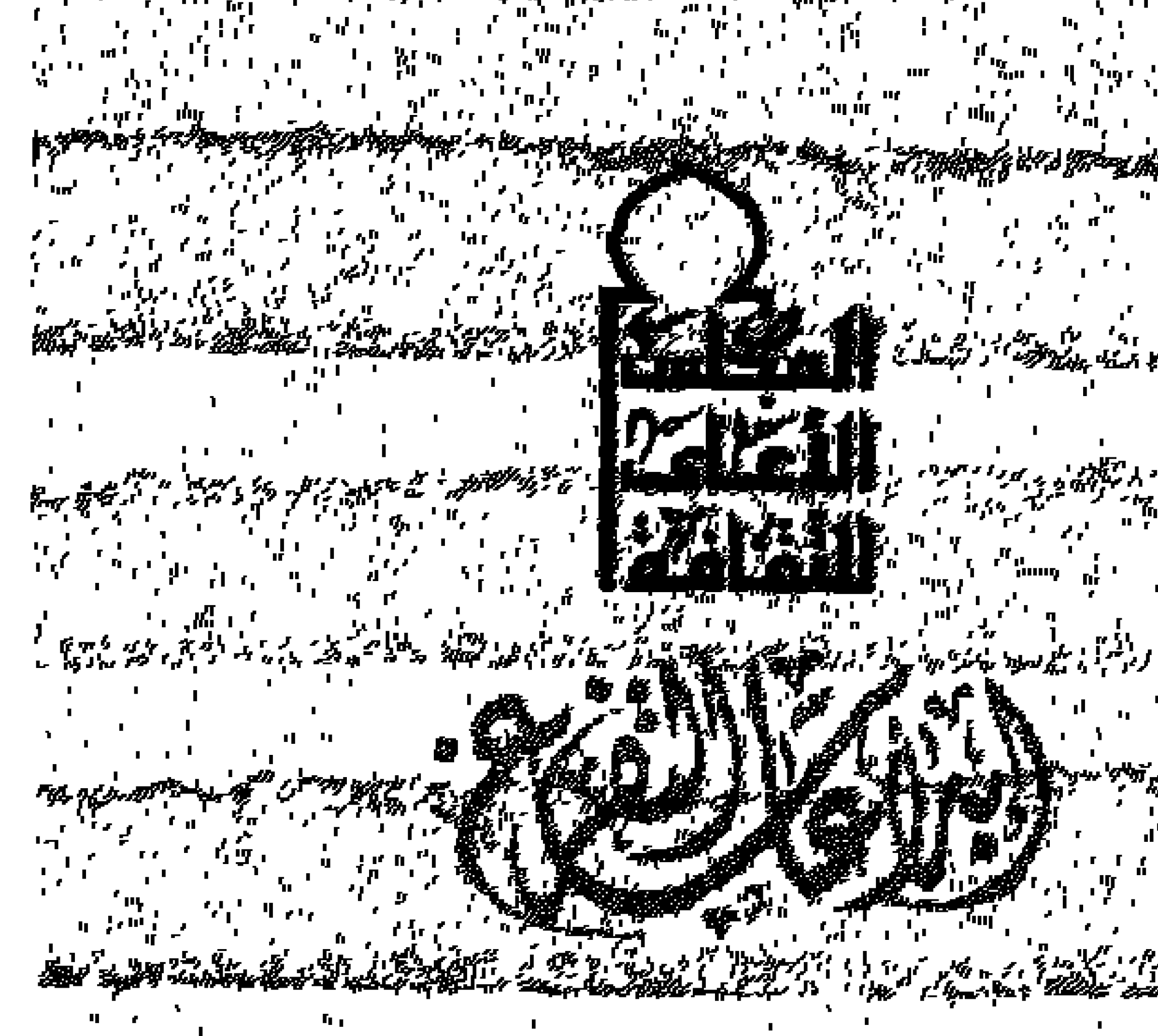
مرغبة إلى الغربة

رؤية

رافت الدويرى







سكرتير التحرير الفنى: هشام نوار

التوحيدى من غربة الى غربة (رؤية)

رافت الدويرى

الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨

المجلس الأعلى للثقافة

١ شارع الجبلاية، دار الأوبرا، القاهرة

الرقم البريدى: ١١٢١١

تليفون: ٢٧٣٥٢٣٩٦

فاكس: ٢٧٣٥٨٠٨٤

رقم الإيداع: ٢٣٥١ / ٢٠٠٧

التصميم والإخراج للفنان:

عـدلى رزق اللــه

Amiria

المطابع الأميرية

المجلس الأعلى للثقافة

إبداعات التفرغ

[٣٦]

التوحيدى
مرغبة إلى الغربة

رؤية:

رأفت الدويرى

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

الدويرى ، رأفت

التوحيدى من غربة إلى غربة / رؤية لرأفت الدويرى،

ط١ – القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٨

١٧٢ ص ، ٢٤ سم

١– المسرحيات العربية ٨١٢

رقم الإيداع :٤١٥١ / ٢٠٠٨

الترقيم الدولى : I.S.B.N - 977- 437 - 638 - 2

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت: ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤

EL Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 **Fax** : 7358084 E.Mail : asfour@onebox.com

الإهداء

إلى – أجيال مستقبل أفضل

أهدى رؤيتى الدرامية هذه

كشهادة

تستنكر نفى المبدعين

فى أوطانهم بالتجاهل المتعمد لإبداعاتهم

مع سبق الإصرار والترصد

كما تدين

قتلة الإبداع الأصيل

فى كل زمان ومكان

رأفت الدويرى

الديكور

لا ديكور ثابت – فقط ستائر سوداء تحيط بفراغ منطقة التمثيل المظلمة تمامًا فى البداية وكأنها ... صفحة سوداء أو لنقل شاشة سينما مظلمة تمامًا .

وبالإضاءة

يشكل المخرج المبدع المشهد تلو المشهد داخل الفراغ المظلم .

مع استخدام

أبسط قطع المناظر والإكسسوارات مجرد"موتيفات" موحية بالمكان والزمان والجو العام للمشهد – تظهر القطع وتتلاشى فى سيولة وسهولة متدفقة تدفق الرؤى فى حلم أو الصور فى فيلم .

مدخل تمهيدى

المشهد الأول

داخلى **ليل صيفى حار**

مجلس الوزير المهلبى – وقد تصدر المجلس وحوله ثلاثى شيوخ السنة يمسكون بأوراق وأبو حيان التوحيدى منفردا فى شبه محاكمة ، إنه فى السابعة والثلاثين من عمره كما سبق ورأيناه فى نهاية المسرينار يو – الأول

ثلاثى شيوخ السنة

(يواصلون القراءة)

إن إعمال القلوب

فوق فرائض السنة

الوزير :- (مناديًا)

إلىَّ بمحرقة أوراق الكفر – لأحرق بنفسى رسائل هذا الزنديق – الكافر – الملحد أبو حيان التوحيدى

أبو حيان

سيدى – مولانا حضرة الوزير المهلبى أنا مسلم موحد بالله ورسوله – ولا أستحق تكفيركم لى .

(هنا يظهر الخدم يحملون بين أياديهم موقدًا كبيرًا به نار مشتعلة يضعونه أمام الوزير – فيبدأ فى حرق أوراق الرسالتين : الحج العقلى ورسالة يوم السقيفة ورقة ورقة متلذذًا بذلك) .

الوزير :-

اسمع أيها الزنديق المارق فرصة أخيرة أمامك فقط حتى فجر الليلة - بعد أذان الفجر، لا أود أن أسمع أنك مازلت تحت سماء بغداد - ولا تحت سماء العراق كله .

أبو حيان:- (تخنقه الدموع)

سيدى حضرة مولانا الوزير المهلبى أنا لا أطيق البعد عن تراب العراق.

الوزير :-

إما البعد عن تراب العراق وإما الدفن تحت تراب العراق .

أبو حيان :-

ألتمس المغفرة والسماح .

ثلاثى الشيوخ :-

- لا مغفرة لكافر - ملحد

- زنديق - حلاجى مارق

أبو حيان :-

الأمر لله من قبل ومن بعد .

(أبو حيان يأخذ طريقه للخارج مترنحًا يوشك على الانهيار)

الوزير :- (يستوقفه)

أبا حيان كان من الممكن أن أنفذ فيك أمر مولانا جلالة الأمير معز الدولة – فألقى بك تحت أقدام فيلة جلالته وهو عقاب عادل تستحقه بجدارة لولا أن أبا محمد المهلبى الوزير العربى قد أخذته الرحمة بأديب عربى مفلوت اللسان – لا يستحق أية رحمة – بل يستحق الحرق حيًا كالحلاج.

(أبو حيان يواصل طريقه للخارج مترنحًا).

((تلاشٍ بطىء))

المشهد الثانى

ما بعد منتصف ليل صيفى حار

مشهدان متزامنان

مشهد تاريخى

(فى الحجرة الجرداء لأبى حيان التوحيدى – بغداد – حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى) .

أبو حيان :–

(فى السابعة والثلاثين من عمره – إنه يمسك بكيس بال من الخيش يجمع فيه أغراضه القليلة وأهمها الأوراق والأقلام والأحبار وبعض مخطوطات مؤلفاته. يتحرك مترنحًا من مكان إلى مكان شارد الذهن – ومن حين لآخر نسمع صوته الداخلى) .

صوت أبى حيان :– ساخرًا بمرارة

ثلاثى الأدباء الشبان اقتحموا مسكنى فى غيبتى ليسلبونى مخطوطات أهم مؤلفاتى التى كتبتها أو جمعتها حتى الآن .

(أبو حيان يواصل تحركه باحثًا عن أوراق يفتقد وجودها) .

مشهد معاصر

(فى قطاع حجرة المكتب للكاتب المعاصر – الدويرى فى القاهرة قرب نهاية القرن العشرين).

الدويرى :–

(الخالق الناطق التوحيدى فى شيخوخته– نفس ملابس ومكياج التوحيدى – إنه يجلس خلف مكتبه مستغرقًا فى الكتابة وأمامه الملف المتضخم للمسر – يناريو الذى أوشك أن ينتهى منه حول التوحيدى من حين لآخر نسمع صوت الدويرى الداخلى) .

صوت الدويرى :–

ها أنا أوشك أن أنتهى من أوراق العمر تحترق بطلها أبو حيان التوحيدى حارق مؤلفاته فلأهديها

لـ ... لمن أهديها؟!

الدويرى :– (يستغرق فى التفكير لفترة).

صوت أبى حيان

رسالة يـوم الـسقيفة أحرقهـا الوزير الشاعر ولم يحرقها – فهنـاك نسخة بديلة للرسالة لدى ناسخ أعجبـه ما جاء بالرسالة فاحتفظ بنسخة لنفسه – أما رسالة الحج العقلى – فاحترقت بلا عودة ولا بديل لها .

(أبو حيان التوحيدى يواصل التنقيـب فـى أوراق يـنفض عنهـا التـراب المتراكم) .

صوت أبى حيان :–

منذ مولدى وحتى اليـوم وأنـا أعيش غريبًا فى وطنى .

صوت أبى حيان

(الـدويرى يمـسك بـالقلم استعدادًا للكتابة)

صوت الدويرى :–

إلى أجيال مستقبل أفضل، أهدى رؤيتى الدرامية هذه كشهادة تـستنكر نفى المبدعين فى أوطـانهم بالتجاهـل المتعمد لإبداعاتهم مع سبق الإصـرار والترصد كما تدين قتلة الإبداع الأصيل فى كل زمان ومكان........

توقيع رأفت الدويرى

(بعد فترة تفكير الـدويرى يـشطب بالقلم).

صوت الدويرى :–

فليكن الإهداء بتوقيـع رأفـت التوحيدى.

(الدويرى يكتب التعديل)

(الدويرى يستأنف الكتابة) .

إلى أين يا أبا حيان؟!

فلأنضم إلى مجموعة صوفية اعتادت كل حج أن تحج إلى مكة سيرًا على الأقدام

يتحرك أبو حيان إلى مكان نومه .

صوت أبى حيان :-

فلآخذ قسطًا من النوم قبل الفجر فلأستعد لرحلة طويلة عبر صحراء حارقة وعلى قدمي شبه الحافية (يستلقى نائمًا ويرتفع شخيره.)

صوت الدويرى :-

التوحيدى :- من غربة إلى غربة

فليكن هذا عنوان المسرحية الثانية من الثنائية الدرامية (ثم يقف الدويرى من خلف مكتبه ويتجه إلى السرير السفرى الملحق بقطاع حجرة المكتب .)

صوت الدويرى :-

فلأستلقى قليلاً على ظهرى لعلى أهتدى إلى نهاية درامية معقولة - مؤثرة لأوراق العمر تحترق .

(الدويرى يستلقى على السرير وتدريجيًا يرتفع شخيره.)

((تلاشٍ بطيء))

المشهد الثالث

خارجى **ظهر يوم صيفى حار**

[على شاطئ نهر دجلة – بغداد – حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى – أبو حيان التوحيدى– فى السابعة والثلاثين من عمره – مصلوب ومقيد فوق شجرة عجوز جرداء تساقطت أوراقها – ذراعاه مبتورتان تمامًا وتنزفان بغزارة.]

تحت شجرة – الصليب أكوام عالية من الحطب والبوص

[وهناك بعض الجنود يصبون من آنية ضخمة بترولاً لـزوم المحرقة .. بالقرب من الشجرة – الصليب وتقريبًا تحت قدمى الشيخ المصلوب – هناك شيخ ثان – الخالق الناطق الشيخ المصلوب فى وجهه ولحيته وزيه – ولنطلق عليه مؤقتًا – شبيه المصلوب – إنه قلق متوتر..]

[جموع غفيرة من عامة بغداد منتشرة على شاطئ نهر دجلة – حول الشيخ المصلوب – الجموع فى صمت تنتحب وقد سيطر عليها الخوف والرعب المتصاعد – وهناك عسكر وجند وحملة المشاعل يحيطون بالمشهد الرهيب ويسيطرون عليه وفى حالة تأهب يقظ لتنفيذ أوامر صاحب الشرطة ..]

[الوزير المهلبى بملابس صاحب الشرطة بدوره يمسك بمشعل مشتعل .. يزحف ثلاثى الشيوخ بقيادة الوزير المهلبى ويحيطون بأبى حيان التوحيدى المصلوب .]

شيوخ السنة – تبدو على وجوههم الشماتة الواضحة فى الشيخ المصلوب مع إحساس بالانتصار عليه – ومن حين لآخر يمطرونه بسخرياتهم .

ثلاثى الشيوخ (الواحد بعد الآخر)

- أخيرًا ابن بائع بلح التوحيدى يسقط فى شر أعماله .
- أين لسانك الشتام الهجام يا أبا حيان ؟!

- فلتحترق بنار هجائك النارى لأسيادك يا عرة الكُتّاب.
- [شبيه المصلوب – أى شبيه أبى حيان التوحيدى – فى رعب وفزع يتابع من مكانه ما يجرى على مسرح المشهد] .

.. .. ..

شبيه التوحيدى -: (يغمغم)

يا الله – وجه صاحب الشرطة الخالق الناطق وجه الوزير المهلبى الذى أرغم التوحيدى على ترك بغداد منفيًا .

ثلاثى الشيوخ :- (الواحد بعد الآخر)

- معذرة يا صاحب الشرطة . – مؤلفات الزنديق التوحيدى .
- ورسائله المارقة . – وخاصة رسالته فيما جرى يوم السقيفة .
- ورسالته الملحدة فى الحج العقلى .
- ورسالته الداعرة فى أهل الجنة .
- جميع مؤلفات التوحيدى مارقة .
- مؤلفات التوحيدى أخطر من التوحيدى .
- فلتحرق جميع مؤلفاته يا صاحب الشرطة .
- فلتحرق مع التوحيدى الكافر .

صاحب الشرطة :- (متطاوسًا)

أنا قبلكم يهمنى وبشدة حرق مؤلفات التوحيدى مع وقبل وبعد حرق التوحيدى .

شبيه التوحيدى(يغمغم جانبًا)

لك الله يا أبا حيان لقد اكتملت حول عنقك الحلقة الشريرة من أعدائك .

صاحب الشرطة :- (مناديًا بصوت مرتفع)

أحضروا جميع مؤلفات التوحيدى ورسائله التى وجدها رجالى فـى مـسكن التوحيدى الزنديق الداعر ، وتلك التى جمعوها من الوراقين فى وكالة الوراقين .

(بعض الجندِ يدخلون بعدة أكياس محشوة بمؤلفات ورسائل التوحيدى) .

صاحب الشرطة :-

أفرغوا هذه البذاءات المارقة على الأرض تحت قدميه تمامًا .

(الجند يفرغون الأكياس على الأرض) .

صاحب الشرطة :-

والآن وزعوها على عامة بغداد – ليشاركونا شرف رجم كلب بهبهان النابح دومًا – بألفاظه – النابحة سنرجم التوحيدى .

(يبدأ الجند توزيع مؤلفات التوحيدى على عامة بغداد)

صاحب الشرطة :-

بسرعة انتهوا من توزيع بقية مؤلفات التوحيدى على عامة بغداد لنبدأ الرجم وبعدها نحرق التوحيدى ومؤلفاته .

(الجند يواصلون التوزيع – ويصلون إلى حيث يقـف شـبيه التوحيـدى – يسلمونه بعض النسخ).

(شبيه التوحيدى بلا حماس يستلم النسخ وخلسة يدعها تنزلق من بـين يديـه على الأرض) .

(صاحب الشرطة الذى كان يراقب توزيـع المؤلفـات علـى العامـة – يستوقفه ما فعله شبيه التوحيدى – غاضبًا يتجه نحوه – ويلف حوله) .

صاحب الشرطة :-

هل أنت شقيق التوحيدى ؟!

شبيه التوحيدى :- (مفزوعًا)

لا – لا حاشا لله يا سعادة الوزير المهلبى – أنا لا أعرف هـذا التوحيـدى بالمرة .

(الشيوخ الثلاثة وقد أحاطوا بسرعة بشبيه التوحيدى – يتأملونه فـى ريبـة، يوزعون أبصارهم ما بين التوحيدى المصلوب وبين شبيه التوحيدى) .

الشيخ الأول :-

وجهك يا هذا الخالق الناطق وجه التوحيدى الكافر.

الشيخ الثانى :-

زيك يا هذا نفس زى التوحيدى المارق .

الشيخ الثالث :-

لحيتك يا هذا نفس لحية التوحيدى الزنديق .

شبيه التوحيدى :- (مرعوبًا)

لا – لا – يا حضرات الشيوخ الأفاضل .

.. .. ..

الشيخ الأول :-

لعلك توأم للتوحيدى ؟!

شبيه التوحيدى :-

لا – لا أقسم لك يا شيخنا المؤمن أنا – لا علاقة لى بهذا الزنديق .

الشيخ الثانى :-

من المؤكد أنك ابن عم التوحيدى .

شبيه التوحيدى :-

لا – لا- أقسم إليك بالله يا شيخ أنا لا أعرف هذا المارق لا من قريب ولا من بعيد .

الشيخ الثالث :-

إذن فأنت قريب من بعيد للتوحيدى .

شبيه التوحيدى :-

أقسم لك يا شيخنا أقسم لكم يا أفاضل أنا لا أعرف هذا الكافر.

صاحب الشرطة :- (ضاحكًا)

ها أنت يا شبيه التوحيدى تنكر عمك أبا حيان التوحيدى ثلاث مرات حتى الآن .

ثلاثى الشيوخ :- (ساخرين)

قبل صياح الديك لثالث مرة تنكر التوحيدى مسيخك الدجال يا كافر .

صاحب الشرطة :- (للعامة)

والآن وقبل حرق الزنديق الكافر فلنرجم التوحيدى بما فى أيدينا من مؤلفاته.

ثلاثى الشيوخ :- (للعامة)

- أيها المؤمنون - أيها الموحدون بالله ورسوله .
- فليشارك كل مؤمن - وكل مؤمنة .
- فلنشارك جميعًا - فى شرف رجم الزنديق الكافر .
- ارجموه بمؤلفاته - ارجموه لتحصلوا على ثواب رجم هذا المارق.

[الجموع بعد تردد . مرغمة تبدأ فى قذف ما تمسك به من مؤلفات التوحيدى تجاه المصلوب – بلا حماس ومن خلال دموعها ونحيبها المكتوم المتصاعد – ثلاثى الشيوخ يرجمون التوحيدى بما يمسكون من نسخ كتاب ذم الوزيرين] .

ثلاثى الشيوخ :- (بشماتة واضحة)

- فلنرجم الزنديق المارق بألفاظه البذيئة نرجمه .

(شبيه التوحيدى – يظل لفترة ساكنًا ينظر للتوحيدى المصلوب . صاحب الشرطة وكان يراقب شبيه التوحيدى) .

صاحب الشرطة :- (ينهره مهددًا)

لا تتردد فى رجم عمك أبى حيان التوحيدى – ارجمه يا دويرى – لا تتردد يا دويرى.

الدويرى – الكاتب المعاصر يمطر التوحيدى المصلوب بما يلتقطه من الأرض بيديه من مؤلفات التوحيدى، وقد أصيب بحالة فزع ورعب هيستيرى .

شبيه التوحيدى :- (باستنكار)

الدويرى – أنا ؟!

لا – لا – لا

((تلاشٍ بطىء))

المشهد الرابع

(مشهد مزدوج مركب من مشهدين متزامنين)

داخلى	قرب فجر يوم صيفى حار
المشهد التاريخي	**المشهد المعاصر**
(عـــودة خاطفـــة إلى مـــسكن التوحيدى – بغداد)	(عودة خاطفة إلى قطاع حجرة مكتب الدويرى) .
(أبو حيان يهب من كابوسه صارخًا)	(الدويرى يهب من كابوسه صارخًا.)

الاثنان ما بين اليقظة والنوم يحاول كل منهما إطفاء جسده من النيران ومعًا يصرخان بصرخات متداخلة

التوحيدى والدويرى :– (معًا فى أصوات متداخلة)

لا – لا لا أريد أن أحترق .. لا – لا تحرقونى قبل أن
أحج إلى مكة – لا – تحرقونى قبل أن أنهى أوراق
العمر تحترق – لا – لا – أريد أن أموت حرقًا – لا –
لا تحرقونى لا – لا – أنا لست الدويرى

(قطع)

المشهد الخامس

داخلى **ليل صيفى حار**

[قطاع لحجرة مكتب عصرية – أرفف المكتبة مزدحمة بالكتب – وهناك سرير سفرى ينام عليه نائم مغطى تمامًا بملاءة بيضاء حتى رأسه – إنه يتحرك بعصبية تحت الملاءة كمن فى كابوس فظيع – وها هو يزيح الملاءة عن وجهه ويعتدل – وقد قفز فجأة – مفزوعًا مذعورًا صارخًا كالهارب من كابوس جحيمى – إنه شبيه التوحيدى] .

شبيه التوحيدى :– (صارخًا)

لا – لا – حاشا لله – أنا لست الدويرى أنا لا أعرفه هذا الدويرى بالمرة – لا أعرفه عن قريب ولا عن بعيد .

[هنا يندفع شاب فى بداية الحلقة الثالثة من عمره إنه طارق الدويرى الابن. من الواضح أنه قادم من نوم عميق مفزوعًا لسماع صرخات شبيه الدويرى]

طارق :–

ماذا بك يا والدى؟! كابوس جديد يا دويرى ؟!

الدويرى :–

لا – لا – أنا لست الدويرى ، أنا لا أعرف هذا الدويرى بالمرة .

طارق :–

سلامتك يا والدى – كابوس جديد – هارب منه كعادتك هذه الأيام منذ معرفتك لعمك أبى حيان التوحيدى .

الدويرى :– (يردد بهلوسة)

لا– لا– حاشا لله أنا لا أعرف هذا التوحيدى ولا أعرف هذا الدويرى، (ثم بسرعة يعاود الاستلقاء على السرير، وبسرعة يغطى وجهه تمامًا وتدريجيًا يرتفع شخيره) .

طارق :-

سلامة عقلك يا والدى

(يتحرك الشاب إلى المكتب – يرفع عن سطحه ملفًا ضخمًا متضخمًا) .

طارق :-

منذ دخولك يا دويرى عالم أبى حيان التوحيدى وأنت تحاول التشبه – بل التوحد مع أبى حيان التوحيدى – التوحد حتى التشبه بالتوحيدى فى المظهر والمخبر – أطلقت لحيتك – وارتديت زيًا صوفيًا كزيه الصوفي فى و ...... لا تكف عن مطاردة التوحيدى ولا تكل .. ليل نهار – نائمًا مستيقظًا أصبحت طريد خفافيش الظلام – الكوابيس المفزعة، أصبحت تعيش حياتك – بل حياة التوحيدى – أصبحت تعيشها كحلم بل كابوس متصل – حقًا – الفنون جنون – كان الله فى عونك يا والدى .

((تلاشٍ بطىء))

المشهد السادس

(مشهد مزدوج مركب من مشهدين متزامنين)

داخلى — **قرب فجر يوم صيفى حار**

المشهد التاريخى

[عـودة خاطفـة إلـى مـسكة التوحيدى بغداد]

(التوحيدى – وقد أفـاق تمامًـا وأنفاسه لاهثة ينظر حوله ويتمتم بكلمات ثم يهب بنشاط واضح باحثًا عن الكـيس الذى جمع فيه أغراضه القليلة ثم ينظـر من نافذة غرفته).

صوت أبى حيان :-

أوشك الفجر على الطلوع فلأترك العراق كلها، وإلا كان مصيرى الحرق – أو الدهس تحت أقدام الفيلة

(ثم يتجه إلى باب حجرته ومعـه كيسه المنتفخ مهـرولاً دون أن ينظـر وراءه).

صوت أبى حيان:-

وها أنا فى طريقى من غربة إلى غربة بعيدًا عن وطنى .

المشهد المعاصر

عودة خاطفة إلى قطاع حجـرة مكتـب الدويرى.

(الدويرى بملابسه المعاصرة)

(الدويرى – وقد أفاق تمامًا أنفاسه لاهثة ينظر حوله ويتمتم بكلمات غامضة) .

(الدويرى – يعود إلى سريره وبعد نفسه للنوم)

صوت الدويرى :-

فلألحق بالتوحيدى فقـد يهـرب منى قبل أن أنتهى مـن أوراق العمـر تحترق فلألحق به من غربة إلى غربة .

صوت أبى حيان :- بعد عودتى من مِكة

لِمَ لا أقصد الرى ؟! لِمَ لا ؟

أنتجع جناب أبا الفتح وأبيه

أبا الفضل ابن العميد ؟! لِمَ لا ؟!

فلأستشير أولاً أستاذى أبا سليمان والسيرافى فى وكالة الـوراقين قبـل أن أترك بغداد منفيًا بأمر المهلبى .

((تلاشٍ بطىء))

المشهد السابع

خارجى **نهار صيفى حار**

[وكالة أو سوق الوراقين – بغداد فى منتصف القرن الرابع هـ – حوالى ٣٦٣هـ ساحة متسعة تضم العديد من حوانيت الوراقين أو النساخين المتجاورة حتى الالتصاق وأمام كل حانوت منضدة للنسخ وعليها معدات النسخ – ويجلس خلفها الناسخ لينقل عن الأصل المرفوع على حامل خشبى قائم على يسار الناسخ وأعلى كل منضدة وعلى جدار الحانوت معلق سراج يضىء بالنفط – نوره مصفر باهت هناك العديد من الناسخين ما بين شيخ وشاب يمارسون عملهم فى صمت وهدوء . من بين النساخين هناك . أبو سليمان السجستانى (الشهير بالمنطقى) إنه منصرف تمامًا إلى النسخ ، وهناك أيضًا أبو سعيد السيرافى بدوره منصرف تمامًا إلى الناسخ أبى حيان التوحيدى يجلس بين أستاذيه . إنه قلق – حائر يوزع نظراته إلى أستاذيه المنصرفين عنه إلى عملهما .. تمر فترة صمت طويلة يقطعها أبو حيان التوحيدى.

التوحيدى :–

أستاذى أبا سليمان السجستانى شيخى أبا سعيد السيرافى إنا فى انتظار مشورتكما .

أبو سليمان :–

فلتعمل يا أبا حيان – هاته مشورتى لك .

التوحيدى :–

الكتابة – عملى الوحيد الذى أجيده .

السيرافى :–

فى هذا الزمان المهين الكتابة لا تقوت كاتبها .

التوحيدى :-

ما العمل إذن لكاتب مثلى؟!

أبو سليمان :-

كما ترى - أفعل ما أفعله أنا والسيرافى وغيرنا كثيرون كتـــاب، شـــعراء، علماء.

التوحيدى :- (باستبشاع)

أضيع عمرى هنا ؟! أبدد نور عينى فى حرفة الشؤم هذه ؟! كاتـــب مثلـــى يعمل ناسخاً؟!

السيرافى :-

أنت مازلت قوى البنيان ، فلتعمل عملاً يحتاج لعافيتك .

التوحيدى :- (بنفاد صبر)

وماذا عن السفر - الهجرة إلى الرى لأنتجع الوزير أبا الفضل ابن العميد - ومن بعده ابنه أبا الفتح ؟!!

أبو سليمان :-

سف التراب أخف من الوقوف على أبواب إذا دنوت منها دفعت عنها .

التوحيدى :-

يا شيخنا أبا سليمان فى هذا الزمان ترك خدمة سلطان أو أمير أو وزير غير ممكن .. غير مستطاع إلا بدين متين ورغبة فى الآخرة شديدة وفطـــام عـــن دار الدنيا صعب .

أبو سليمان :- (ساخرًا)

العزلة محمودة للكاتب يا كاتب !

التوحيدى :-

العزلة محتاجة إلى الكفاية .

السيرافى :-

القناعة مزة فكهة.

التوحيدى :-

ولكنها فقيرة إلى ما نتبلغ به .

أبو سليمان :-

صيانة النفس حسنة .

التوحيدى :-

إلا إنها كلفة محرجة إن لم تكن لها أداة تجدها وفاشية تمدها .

السيرافى :-

من التهب طمعه وحرصه ظهر عجزه ونقصه .

التوحيدى :-

لابد من معين على الدهر يغنى عن كرام الناس فضلاً عن لئامهم معين يذلل قعود الصبر ويحلى مر اليأس - فللإنسان نفس جموح وعين طموح .

أبو سليمان :- (ساخرًا)

وعقل طفيف ورأى ضعيف يهفو لأول ريح ويستخبل لأول بارق .

التوحيدى :-

يا شيخى أبا سليمان يا أستاذى أبا سعيد نحن .. الكُتَّاب ... الملوك لا يستطيعون الاستغناء عن الكُتَّاب نحن - أقصد - أهل الصنعة - بنا ينتظم الملك وتستقيم للملوك أمورهم . وبتدبيرنا وسياستنا يصلح الله سلطانهم فتعمر البلاد.

أبو سليمان :-

تستشهد يا أبا حيان بنصائح ووصايا عبد الحميد الكاتب لتبرر لنفسك ما أنت فاعله مهما كانت مشورتنا .

السيرافى :-

تتذكر وصايا عبد الحميد الكاتب وتنسى كلمات الجاحظ مثلك الأعلى في علاقة الكاتب بالسلطان .

التوحيدى :- (بخجل وحياء يردد)

أقرب الكُتّاب من الخليفة أهونهم (ثم تعاوده الرغبة فى انتصار رأيه) ومع ذلك ليس فى الدنيا محسوب إلا وهو محتاج إلى تثقيف (هنا ينفجر أبو سليمان والسيرافى فى ضحكات ساخرة – لا تخلو من ضيق وغيظ) .

أبو سليمان :- (ساخرًا من خلال ضحكاته)

أبو حيان التوحيدى يتوهم أنه قادر على تثقيف الوزراء !!!

السيرافى :- (بغيظ واضح)

لماذا لم تثقف أبا محمد المهلبى وزيرك الشاعر ؟!

أبو سليمان :- (ساخرًا)

أم أن تثقيفك له جعله يلفق لك تهمة الزندقة والإلحاد – ويأمر بنفيك من وطنك ومسقط رأسك ؟

التوحيدى :- (بانكسار واضح)

يا شيخىّ – يا أستاذىّ

أبو سليمان :- (ينهره بحدة)

فلتنتجع الوزراء كما تشاء ولتترك أستاذيك يضيّعان عمريهما ويبددان نور عيونهما فى حرفة الشؤم هذه .

(أبو حيان التوحيدى – ينزوى جانبًا كسير الخاطر ويشرد ذهنه تمامًا).

صوت التوحيدى :– (يغمغم بمرارة)

شبابى .. أصبح هرمًا بالفقر، فقرى غنى بالقناعة، وقناعتى عجزًا عند التحصيل . عدلت إلى الزمان أطلب إليه مكانى فيه وموضعى منه فرأيت طرفه عنى نابيًا وعنانه عن رضاى مثنيا وجانبه في مرادى خشنًا – والشامت بى على الحدثان متماديًا طمعت فى السكون تجلدًا وانتحلت القناعة رياضة ودرعت الصبر مستمرًا ولبست العفاف محمودًا فلم يطل دهرى فى إثنائه متبرمًا بطول الغربة وشظف العيش وكلب الزمان وعجف المال وجفاء الأهل وسوء الحال حتى لاحت غرة الأستاذ أبى الفتح ابن العميد فى بغداد !! لمَ لا أقصد بلاده ...؟!

إلى الرى سأسافر ... وأقف بباب الوزير أبى الفضل ابن العميد وأصبح واحدًا فى مجلسه.

(يراود التوحيدى خاطر ذكى.)

التوحيدى :–

فلأمهد طريقى إلى الرى برسالة إلى الفتى الكريم أبى الفتح ابن العميد أطلب بل ألتمس الانتجاع لدى جنابه . رسالة لابد أن أختار كلماتها بعناية وذكاء كلمات تمس لديه وترًا حساسا فتسحره وكأنها تعويذه سحرية تفعل فى الحال فيكون القبول بل الترحاب بالتوحيدى فى مجلس أبى الفضل ومن بعده أبى الفتح ابن العميد.

((تلاشٍ بطىء))

الجزء الأول

المشهد الثامن

داخلى **بعد منتصف ليل صيفى حار**

[مسكن أبى حيان التوحيدى]

فى بغداد – منتصف القرن الرابع الهجرى التوحيدى فى حوالى السابعة والثلاثين من عمره .

إنه يجمع أغراضه القليلة ليلقى داخل كيس خيش بال – أوراقه وربما مؤلفاته إنه صامت .. شارد الذهن ولا نسمع سوى صوته الداخلى .

صوت التوحيدى :-

أوشك الفجر على الطلوع فلأهرب بجلدى – قبل أن يتراجع الوزير المهلبى– (ساخرًا) الوزير الشاعر قد يتراجع عن رحمته – يتراجع عن مجرد نفى عن وطنى – فيلقى بى تحت أقدام الفيلة أو ربما يأمر بحرقى كما رأيت نفسى الليلة الماضية فى منامى ... فى كابوسى .

(طرق على الباب – فيبدو الخوف والرعب على أبى حيان) .

التوحيدى :-

ها أنا فى طريقى إلى منفاى . يا جلاوذة حضرة الوزير الشاعر أبلغوا حضرته أن عين شمس صباح اليوم لن ترى أبا حيان التوحيدى تحت سماء بغداد ولا تحت سماء العراق.

(يجر كيسه المنتفخ ويهرول خارجًا قاصدًا باب مسكنه يفتحه فيفاجأ بالدويرى الكاتب المعاصر يتراجع أبو حيان) .

التوحيدى :- (بارتياح)

أنت ؟!

الدويرى :-

إلى أين ؟!

التوحيدى :- (ينشد بمرارة)

إذا نبت بك أوطان نشأت بها

فارحل فكل بلاد الله أوطان .

الدويرى :-

غربة جديدة ؟!

التوحيدى :-

الوزير الشاعر

الدويرى :- (يقاطعه ساخرًا)

لابد للوزير أن يكون الوزير الشاعر أو الوزير الفنان أو الوزير ال...

التوحيدى :-

رجال المهلبى الوزير الشاعر يطاردوننى منفيًا خارج حدود وطنى .

الدويرى :-

رجال وزيرنا الفنان ينفوننى وأنا داخل حدود الوطن .

التوحيدى :-

وصفك وصفى يا هذا .

الدويرى :-

وحالى حالك يا أبا حيان .

التوحيدى :-
أنت أنا .

الدويرى :-
وأنا أنت

(قطع)

المشهد التاسع

داخلى **ليل صيفى حار**

[الرى حوالى ٣٦٣هـ قصر الوزير أبى الفضل ابن العميد فى القاعة حيث يعقد مجالسه مع العلماء والأدباء والشعراء . أبو الفضل ابن العميد فوق الخمسين من عمره ومع ذلك يبدو أكبر من عمره بكثير إذ إن مرض النقرس أنهك قواه وخير وصف لشخصية الوزير أبى الفضل ابن العميد صورة كلمات التوحيدى فى كتابه الشهير "أخلاق الوزيرين" كنت إذا نظرت إلى أبى الفضل تجده غضبًا غير مغضب – شنج (أو ذم) الأنف – ينظر إليك بمؤخرة عينه دلالة على الدهاء كالح الوجه وكأنما وجهه بالخل منضوح يكشر عن ناب تعلوه الصفرة – يلوى شفتيه وشدقه – يمضغ الكلام عندما يتحدث وإذا كلمك يتجمد عليك قبل أن تلاطفه].

(أبو الفضل ابن العميد يتصدر المجلس وعلى جانبيه يجلس جلساؤه من علماء وأدباء وشعراء وغيرهم)

أبو الفضل : – (متلائمًا)

النقرس هد حيلى ويحرمنى النوم طول الليل .

الشاعر :– (ينشد مادحًا)

شكا النقرس نقريس

أخو علم ونطيس .

أبو الفضل :–

أبا بشر – أهذه رقية للنقرس؟!

(من الخارج تصدر أصوات متداخلة .. أبو الفضل ابن العميد يلتفت ناحية مدخل القاعة بعدم ارتياح)

أبو الفضل :-

ما هذه الجلبة والأصوات ؟!

(هنا يظهر أبو حيان التوحيدى .. إنه فوق الأربعين من عمره مرتديًا زيه الصوفى المعتاد)

أبو الفضل :-

الجليس الجديد لمجلسنا أبا - أبا أبا ماذا يا هذا ؟!

التوحيدى :- (بامتعاض خفى)

أبو حيان التوحيدى يا سيدى الوزير.

أبو الفضل :-

ما هذه الجلبة خارج مجلسنا يا أبا حيان التوحيدى ؟!

التوحيدى :-

هذا يا سيدى الوزير - الشاعر البائس - لقد سمعت شعره وأسمنت أمله وهو على ذلك يغدو ويروح .. يشكو ويبوح، فلو حضرة الوزير أمر له بشيء كان هذا أقطع لشغبه وأجلب لشكره وأدعى إلى السلامة من عتبه .

أبو الفضل :-

وماذا يريد ؟! إن شاء أجبته عن قصيدته بقصيدة فى رويه وعدد أبياته وعروضه وأعيان معانيه - وهكذا أردد شعرًا بشعر وبعد ذلك ليس علىَّ لوم ولا أنا مقصر ولا ظالم .

التوحيدى :-

سيدى حضرة الوزير هؤلاء الشعراء يردون الآفاق ولا همّ لهم إلا الإلحاح والطلب والتذرع باللسان والتوصل إلى كل حال بكل حيلة .

أبو الفضل :-

هون عليك يا أبا – أبا ماذا يا هذا ؟!

التوحيدى :- (بغيظ مكتوم)

أبو حيان التوحيدى يا – يا – سيدى الوزير .

أبو الفضل :-

هون عليك يا أبا التوحيدى

التوحيدى :-

أبو حيان التوحيدى يا ...

أبو الفضل :-

أقــلل من حديثك يا هذا فقد ضيعنا فى هذا مالا وأنا بعد فى لــذع الحــسرة على ذلك.

التوحيدى :-

سيدى الوزير بعض مال .

أبو الفضل :- (يقاطعه بحده)

المال – عافاك الله – عديل الروح وكمال الحياة وقوام الظهر وسرور القلب وزينة العيش ومن لا مال له لا عقل له .

(هنا ترتفع الأصوات خارج القاعة ويندفع من الخارج الشاعر البائس – وقد اقتحم القاعة عنوة وقد وصل إلى ذروة الغضب والانفعال لدرجــة أنــه يــصرخ بكلماته الغاضبة قبل أن يواجه أبا الفضل) .

الشاعر البائس :-

أيها الوزير الرئيس أو الرئيس الوزير – أيهما أحلى لــك لمخاطبتــك لقــد لزمتك لزوم الظل وذللت لك ذل النعل وأكلت النوم انتظارًا لصلتك مديح بعد مديح. من نثر بعد نظم لم أحصل منك إلا على ندم مؤلم ويأس مسقم .

أبو الفضل :- (يقاطعه ناهرًا إياه)

اسمع يا هذا – لا أسمح لك أن تخاطبنى بصوت مرتفع – فأنا وزير الأمير ركن الدولة أنا زعيم الأولياء والحضرة والقيم بمصالح المملكة .

الشاعر البائس :- لهذا مدحتك يا رئيس

(أبو الفضل يهب واقفًا ليواجه الشاعر البائس – بازدراء واضح) .

أبو الفضل :-

اسمع أيها الشاعر البائس أنا ما استقدمتك لمجلسى بكتاب .. ولا استدعيتك برسول ولا سألتك مدحى ولا كلفتك بتقريظى .

(الوزير أبو الفضل يترك القاعة وجسده يرتعش غضبًا) .

الشاعر البائس :-

والله إن سف التراب والمشى على الجمر أهون من هذا .. لعن الله الشعر إذا كان بائعه مهينًا ومشتريه مماسكًا فيه .

(أبو حيان التوحيدى يحتوى الشاعر البائس بين ذراعيه ويدفعه ليخرجا معًا).

صوت التوحيدى :-

ليتنى أصغيت إلى مشورة أستاذى أبا سليمان وشيخى أبى سعيد السيرافى فلأرجع إلى دار السلام .." من خرج من داره قل مقداره" .

إلى دارى – ولو أسف ترابها وأمشى على جمرها .

((تلاشٍ بطىء))

المشهد العاشر

خارجى **ليل شتوى مطر بارد**

[طريق ترابى بعيد تماما عن العمران – أبو حيان التوحيدى عائدًا من الرى– وقد اقترب من بغداد وحالته فى غاية السوء – قواه منهكة تمامًا ، ملابسه تهرأت تمامًا وتلطخت بوحل الطريق بفعل السيول والأمطار – شعره طال لحد كبير جسده يفوح برائحة نتنة من عدم الاغتسال وفمه يفوح برائحة الجوع – إنه مكوم فوق الطريق الموحل – ومن حين لآخر تصدر عنه أنات ألم مسموعة] .

التوحيدى :–

خلت الدنيا من الكرم والكرام، اصطلح الناس على قلة المباهاة بالفضائل – يا له من زمن تاه أهله! المنكر صار معروفًا – والمعروف منكر.

[على الطريق القادم من بغداد يظهر بعض الراكبين – كبيرهم أبو الوفاء المهندس فوق بغل ضخم ومن خلفه ثلاثة من غلمانه فوق ظهور الحمير المزودة بمستلزمات سفر طويل من بغداد إلى الرى موكب الراكبين يعبر أبا حيان التوحيدى دون أن يلحظه أحد أو يسمع أناته أحدهم] .

التوحيدى :– (مستنجدًا ينادى)

النجدة ! النجدة ! النجدة !

(أبو الوفاء المهندس وقد سمع النداء يجذب عنان بغله ليتوقف – فيوقف الغلمان الثلاثة حميرهم) .

أبو الوفاء :–

هناك من يطلب النجدة!

الغلام الأول :-

فى مثل هذه الليلة ليس هناك على الطريق سوانا يا سيدنا الشيخ .

التوحيدى :-

النجدة ! النجدة !

أبو الوفاء :-

ها أنا أسمع صوته من جديد يبدو أنه مسافر على قدميه قد أنهكه وحل الطريق – هيا ابحثوا عنه يا غلمان وقدموا له الشراب وطعامًا ساخنًا . (الغلمان الثلاثة يبحثون عن أبى حيان إلى أن يصطدموا به مكومًا وقد التف حول نفسه) .

الغلام الثانى :- (يصيح عاليًا)

لقد وجدناه يا سيدنا الشيخ..

[أبو الوفاء المهندس يوجه بغله إلى حيث الغلمان يقدمون للتوحيدى طعامًا وشرابًا ساخنًا يأخذه أحدهم من خرج على ظهر حماره] .

(التوحيدى وقد استرد قدرًا من عافيته) .

التوحيدى :-

أشكركم يا فتيان ! من سيدكم يا غلمان ؟

الغلام الثالث :-

سيدنا أبو الوفاء المهندس .

التوحيدى :- (بارتياح واضح)

حقًا ؟! يا لها من صدفة سعيدة وأنا فى مثل هذه الحالة ! أود أن أحادث سيدكم .. فأنا أعرفه .

الغلام الأول :- (ساخرًا)

تعرفه؟! ومن لا يعرف الشيخ أبا الوفاء المهندس ؟!

التوحيدى :-

والشيخ يعرفنى - .. أنا أبو حيان التوحيدى .

الغلام الأول :- (باستخفاف)

يعرفك أنت يا .. يا هذا ؟!

التوحيدى :-

فقط أخبره باسمى وسترى يا غلام .

الغلام الثانى :- (يصيح مناديًا)

سيدنا الشيخ .. طالب النجدة يزعم أنه يعرف سيدنا أبا الوفاء .

التوحيدى :- (بأقصى صوته يصيح)

أنا أبو حيان التوحيدى يا سيدنا الشيخ أبا الوفاء .

(أبو الوفاء المهندس ينزل عن بغله وبسرعة وباهتمام واضح يتجه إلى حيث التوحيدى)

أبو الوفاء :-

أبا حيان - ماذا تفعل هنا على طريق موحلة فى ليلة عمياء بالمطر والسيول؟!

التوحيدى :- (بشوق واضح يحاول معانقة أبى الوفاء المهندس)

الشيخ أبا الوفاء - يا لها من مصادفة !!

(أبو الوفاء يتراجع بسرعة تحاشيًا لرائحة أبى حيان التوحيدى).

(التوحيدى بحرج شديد يصرف النظر عن معانقته) !

التوحيدى :-

معذرة يا شيخ - منذ أكثر من شهر لم أقرب الماء لأغتسل والطعام لم يدخل فمى منذ..

أبو الوفاء :-

لا عليك يا أبا حيان ولكن من أين وإلى أين ؟!

التوحيدى :-

من الرى عائدًا إلى بغداد .

أبو الوفاء :-

على قدميك راجع من الرى إلى بغداد بلا دابة .

التوحيدى :-

مسافر بلا زاد ولا مال بعد أن خاب سعيى عند الوزير أبـــى الفـــضل بـــن العميد.

أبو الوفاء :-

رحمة الله عليه .

التوحيدى :-

مات ؟!

أبو الوفاء :-

خلال رحلة عودتك الطويلة الموحلة حدثت أحداث وأحداث .

التوحيدى :-

مات أبو الفضل وطبعًا خلفه وحيده أبو الفتح وزيرًا للأمير ركن الدولة .

أبو الوفاء :-

لفترة وجيزة – إلى أن مات ركن الدولة .

التوحيدى :-

ركن الدولة مات ؟! يبدو أننى من أهل الكهف!.

أبو الوفاء :-

وجاء مؤيد الدولة .

التوحيدى :-

ابن ملك الأمراء عضد الدولة .

أبو الوفاء :-

واصطدم بكبر وغرور أبى الفتح بن العميد .. وبتحريض من والده عـضد الدولة وبتدبير من الصاحب بن عباد.

التوحيدى :-

ضيعه أبو الفضل بن العميد.

أبو الوفاء :-

قرر مؤيد الدولة التخلص من أبى الفتح بن العميد فاستدعاه فى ليلـة لـيلاء كان أبو الفتح يقضيها فى طرب وأنس وعربدة كعادته .

((تلاشٍ بطىء))

المشهد الحادى عشر

داخلى **منتصف ليل صيفى حار**

[مجلس شراب وأنس فى دار أبى الفتح بن العميد وزير مؤيد الدولة بن عضد الدولة – فى القرن الرابع الهجرى فى الرى بفارس .]

(أبو الفتح بن العميد – قد تجاوز العشرين من عمره . إنه يتوسط ندماءه فى مجلس الشراب .. وهناك المطرب بعوده يستعد للغناء ، وحوله أكثر من عازف) .

(أبو الفتح فى ذروة السُكر والبهجة – يخاطب المطرب) .

أبو الفتح :-

هيا – أسمعنى بصوتك آخر أشعارى – لتكتمل متعتى الليلة .

المطرب :- (يغنى)

دعوت المنى ودعوت العلى

فلما أجابا دعوت القدح

وقلت لأيام شرخ الشباب

إلى فهذا أوان الفرح

إذا بلغ المرء آماله

فليس له بعد مقترح

(أبو الفتح بن العميد – يقف مترنحًا وقد بدأت تلح عليه الرغبة فى النوم) .

أبو الفتح :-

والآن يا فتيان– حان موعد النوم .. فإلى غد لنصطبح ولا تتأخروا يا فتيان.

(يترنح فى اتجاه باب القاعة -- وإذ به يفاجأ بصاحب الشرطة ومعه بعض العسكر – يقتحمون القاعة) .

صاحب الشرطة :-

معذرة – سعادة الوزير أبــا الفتح – جــلالة الأمير مؤيد الدولــة يرغــب في مقابلة .

سعادة الوزير أبو الفتح :-

فى مثل هذا الوقت المتأخر من الليل؟!

صاحب الشرطة :-

الآن – هذه أوامر جلالة الأمير .

(أبو الفتح وقد أفاق من سكره – وبدأ يدرك حقيقة الأمر وراء استدعائه) .

أبو الفتح :-

بالطبع لا يليق أن أقابل الأمير بمثل هذه الملابس – لحظــات يــا صــاحب الشرطة لأبدل ملبسى استعدادا للقاء جلالة الأمير مؤيد الدولة .

صاحب الشرطة :-

لك ما تريد يا سعادة الوزير ذى الكفايتين.

((تلاشٍ بطىء))

المشهد الثانى عشر

داخلى **ليل صيفى حار**

[داخل زنزانة انفرادية فى أحد سجون الرى هناك آلة التعذيب الشهيرة – "العروسة"، وقد صلب على جسدها وذراعيها أبو الفتوح بن العميد ، وقد جرد الجزء العلوى من جسده من الملبس . ظهره المجلود حتى الإدماء ناحية عين المتفرج أو لنقل عين الكاميرا].

[هناك جلادون ثلاثة بأدوات التعذيب لسمل العين ومقص لقطع الأنف وملقاط لنتف اللحية – لقد انتهوا تمامًا من العمليات الثلاثة – يبدو عليهم الإرهاق وهناك موقد نار على حافته مقصات وأدوات التعذيب ملطخة بالدماء] .

[وهناك كبير الجلادين المكلف باقتلاع الاعترافات من فم أبى الفتح بن العميد– يبدو عليه الإرهاق ونفاد الصبر من عناد السجين بالإضافة إلى حرارة الجو] .

كبير الجلادين :– (بنفاد صبر)

وبعدهالك يا ابن العميد ؟! سملنا عينك اليمنى – قطعنا أنفك – ونتفنا لحيتك – ماذا تريد أكثر من هذا لتعترف لنا بمكان أموالك ومجوهراتك ؟ لعلك لا تدرك مدى بشاعتك الآن ، أحضروا له مرآة ليرى نفسه ، واعدلوا وجهه ناحيتى لأتملى فى وجه ابن العميد بعد التعديل .

(جلادان يلفان "العروسة" ليصبح وجه أبى الفتح مقابل عين المتفرج – الأنف مقطوع بوحشية والدم ما يزال يسيل منه .. العين اليمنى – سملت تمامًا والدم يتدفق من قاعها بغزارة – اللحية منتوفة بوحشية والدم ينشع من الوجه بكثافة).

(رأس أبى الفتح ملقاة ما بين كتفى العروسة الجلاد الثالث يخـــرج ليحـــضر مرآة يضعها أمام وجه أبى الفتح) .

كبير الجلادين :– (ساخرًا)

ما رأى سعادة الوزير ذى الكفايتين فى وجه سعادتك بعد التعديلات .

أبو الفتح :– (ينشد بصوت خفيض)

بدّل من صورتى المنظر

لكنـــه مـــا غير المخبر

(كبير الجلادين يشتعل غيظًا فيبدأ فى ضرب أبى الفتح ضـــربات عـــشوائية بجنزير من الحديد) .

كبير الجلادين :– (يصرخ فى غيظ كالمجنون)

فلتعترف بمخبأ أموالك الذهبية ومجوهراتك خيرًا لك وإلا ظللـــت أضـــربك حتى تموت – انطق – اعترف

أبو الفتح :– (ينشد فى تحد عنيد)

دخل الدنيا أناس قبلنا

رحلوا عنها وخلوها لنا

فنزلناها كما قد نزلوا

ونخليهـــا لقـــوم بعدنـــا

كبير الجلادين :–

كـــف عن الشعـــر والتفلسف وانطـــق خيـــر لك – أين أموالـــك ؟! أين مجوهراتك؟!

أبو الفتح :- (ساخرًا)

لا بد أنها فى دارى مخبأة فى مخزن خمورى.

كبير الجلادين :-

قلبنا دارك رأسًا على عقب ولم نجد أثرًا لأموالك ومجوهراتك – فلتعترف خير لك وإلا قتلتك .

أبو الفتح:

خير لك أن تقتلنى ولكن بعد أن أركع ركعتين أمام الله عز وجل .

كبير الجلادين :-

بل ستموت كافرًا دون أن تقابل وجه ربك .

(الجلادون الثلاثة يستفزهم تجبر كبيرهم)

الجلادون :- (بأصوات مستعطفة متداخلة)

يا كبيرنا فلتدعه يصلى

لا تتحمل وزر منعه من الصلاة يا مؤمن .

كبيرنا معروف بإيمانه كمسلم .

كبير الجلادين :- (بعد تردد)

فكوا قيوده ليصلى الجلادون الثلاثة يفكون قيود أبى الفتح – أبو الفتح بصعوبة يسير على قدميه قاصدًا موقد النار .

الجلاد الأول :-

حالاً سنحضر لك ماء للوضوء .

أبو الفتح :-

دمائى أطهر من أية مياه فى أحباس أميركم مؤيد الدولة .

كبير الجلادين :-

احبس لسانك القــذر عن أميــرنا مؤيد الدولة وإلا أرجعناك إلـــى قيــودك بدون صلاة .

أبو الفتح يمارس شعائر الوضوء مستخدمًا دمه النازف – ثم وفى غفلةٍ مـــن كبير الجلادين والجلادين الثلاثة – يفك عن خاصرته حزامًا عريــضًا منتفخــا – وبسرعة خاطفة يفرغ ما بداخل الحزام فى موقد النار فتتساقط عشرات مئات آلاف الدنانير الذهبية مختلطة بالمجوهرات بأنواعها – وقد فرغ الحزام مــن محتوياتــه واشتعلت فيها نيران الموقد) .

أبو الفتح :-

والآن يا كبير الجلادين اصنع بى ما أنت صانع . فوالله لا يصل من أموالى إلى أميرك مؤيد الدولة دينار واحد .

(فى ثورة عارمة وغضب جنونى يتجمع كبير الجلادين وجلادوه الثلاثة فى ضرب هيستيرى لجسد أبى الفتح – الذى يركع محاولاً الصلاة – بينمــا الجنــازير الحديدية وأدوات التعذيب المعدنية تهبط على جسده بلا رحمة إلى أن ينبطح علـــى الأرض فاقد الحياة) .

((تلاشٍ سريع))

المشهد الثالث عشر

خارجى **ليل شتوى مطر بارد**

(عودة إلى الطريق الترابى البعيد تمامًا عن العمران – أبو حيان التوحيدى يواصل حديثه مع أبى الوفاء) .

أبو الوفاء :–

وسمل عينه اليمنى .. وجدع أنفه ونتف الجلادون لحيته واستمروا فى تعذيبه حتى لفظ أنفاسه الأخيرة .

التوحيدى :– (ينشد بمرارة ساخرة)

كان الزمان يحبكم فبدا له

أن الزمان هو المحب الغادر

أبو الوفاء :–

وهكذا نجحت مكائد ودسائس الصاحب بن عباد فى إزاحة آل العميد عن طريق طموحه ووصوليته.

التوحيدى :–

أزاح أولياء نعمته خان صانعيه من لا شىء.

أبو الوفاء :–

أزاحهم عن طريقه ليصبح وزيرًا قويًا للأمير مؤيد الدولة .

التوحيدى :–

ومع ذلك يشاع عن الصاحب بن عباد الكرم ، لذا انتجعه الكثير من الكُتَّاب والعلماء والشعراء .. ومنهم صديق شبابى .. أبو بكر الخوارزمى . فما رأى الشيخ أبى الوفاء فى الصاحب بن عباد ؟!

أبو الوفاء :-

الصاحب بن عباد عند أصحابه رقيق طيب وعند سفلة المعتزلة واحد دنيء .. وعند الفلاسفة طائر ظريف وعند الصالحين ..

التوحيدى :- (يقاطعه)

وعند الكُتّاب ؟!

أبو الوفاء :-

عند الكتاب – أحمق غليظ.

(تبدو الخيبة على وجه أبى حيان التوحيدى ... يصمت لحظة ويشرد ذهنه).

التوحيدى :- (يغمغم)

ومع ذلك يشاع عنه الكرم !.

أبو الوفاء :-

أبا حيان – يبدو أنك تفكر فى ...

(يفيق من شروده وكمن اكتشف حقيقة أفكاره فيشعر بالعار)

التوحيدى :- (باستنكار واضح)

أنا أنتجع دساس لصانعه ؟! حاشا لله يا شيخ أبا الوفاء .

أبو الوفاء :-

إذن هيا واصل طريق عودتك إلى وطنك . لقد أوشكت أن تصل لبغداد – يا غلمان زودوا الأستاذ أبا حيان التوحيدى بما يلزمه من ملبس وزاد وشراب ليصل إلى داره .

التوحيدى :- (مهمومًا)

بارك الله فيك يا شيخ أبا الوفاء وأكثر من أمثالك .

أبو الوفاء :-

وهاك بعض الدنانير تساعدك على العيش لحين إيجاد عمل تتقوت منه لا بد لك من عمل يا أبا حيان لكى تفكر فى الانتجاع ثانية !!

التوحيدى :-

شكرًا لك يا شيخ أبا الوفاء ! هل ستطول غيبتك فى الرى؟

أبو الوفاء :-

أحمل رسالة من أمير الأمراء عضد الدولة إلى الصاحب بن عباد .

التوحيدى :- (باستنكار واضح)

الشيخ أبو الوفاء المهندس يضع يده فى يد الأفاك الأثيم – الصاحب ابن عباد؟!

أبو الوفاء :- (ضاحكًا)

إنها مهمة رسمية يا أبا حيان وليست انتجاعًا .

((تلاشٍ سريع))

المشهد الرابع عشر

خارجى **نهار مشمس**

[الطريق الترابى .. المؤدى إلى الرى]

(أبو حيان التوحيدى على ظهر حمار يأخذ طريقه عائدًا إلى الرى)

التوحيدى :- (يغمغم شارد الذهن)

نداء غامض – ملح فى أعماقى يجذبنى جذبًا للعودة إلــى الــرى لانتجــاع الصاحب بن عباد

(يواصل الحمار طريقه .. وأبو حيان التوحيدى صــامت – شــارد الــذهن ويبدو عليه القلق لفترة ثم يشد لجام الحمار وقد بدا عليه التردد لفترة).

التوحيدى :- (بارتباك واضح)

أ – أ – أبو بكر الخوارزمى صديق شبابى ينتجع الصاحب ولفترة طويلــة فلأجرب حظى مع الصاحب بن عباد .

(ثم يستأنف طريقه إلى الرى) .

((قطع))

المشهد الخامس عشر

داخلى **ليل صيفى حار**

[دار الصاحب فى الرى – وبالتحديد فى القاعة حيث يعقد مجالسه مع العلماء والكتاب والشعراء وغيرهم . المجلس حافل بالحضور ومن أهمهم :

ابن فارس مؤدب وأستاذ أبى الفتح بن العميد وحاليًا مستشار للصاحب وقد أصبح فى الستين من عمره، وأبو بكر الخوارزمى وأبو حيان التوحيدى وكلاهما فى الخمسين من عمره مع اختلافهما فى الزى . التوحيدى ما يزال يصر على زيه الصوفى زرى الهيئة ، أما أبو بكر الخوارزمى فيبدو فى حالة متيسرة فملبسه أنيق يليق بمجلس وزير المجلس فى انتظار حضور الصاحب بن عباد – يتبادلون الأحاديث وربما الضحكات همسًا ثم يدخل الحاجب ليعلن فى جلال ومهابة .

الحاجب :–

حضرة سعادة الوزير الصاحب بن عباد ذى الكفايتين (يهب الحضور وقوفًا – وكلٌ يهندم نفسه استعدادًا لظهور الصاحب – فيما عدا التوحيدى الذى يبدو عليه الارتباك) .

(يظهر الصاحب بن عباد . يلقى على الحضور السلام باقتضاب فيرد – الحضور بصوت جماعى) .

الحضور :–

وخير السلام والرحمة والبركة على حضرة سعادة الصاحب الوزير ذى الكفايتين.

(يجلس الصاحب فى صدر القاعة) .

(الحضور لا يجلسون إلا بعد إشارة من يده .. الصاحب يتعمــد تــأخيرهم لفترة خلالها يمسح الصاحب الحضور الواقفين باحترام وخشوع) .

(الصاحب بن عباد فى الخامسة والثلاثين من عمره قصير القامة مشوه الوجــه وحسب وصف التوحيدى فى "أخلاق الوزيرين" وجهه المشوه كأنــه دمامــل جمعــت فصور وجهه منها – وله لحية ينفشها بأصابع يده ويعبث بها عندما يتــوتر – ويفتــل رأسه ويلوى عنقه وشنج أنفه ويعوج شدقه ويقذف البزاق على أهل المجلس) .

(الصاحب بن عباد بعد أن يستعرض الحضور يثبت بصره على أبى حيــان التوحيدى – ثم يشير للحضور بالجلوس ثم يشير إلى أبى حيان التوحيدى) .

الصاحب :-

منتجع جديد فى مجلسنا كما أرى .

أبو بكر الخوارزمى يقف باحترام وخشوع تجاه الصاحب .

الخوارزمى :-

صاحب السعادة الصاحب الوزير ذى الكفايتين اسمح لى أن أقــدم لحــضرة الوزير – صديق شبابى أبا حيان التوحيدى

(أبو بكر الخوارزمى يجذب التوحيدى ليقف بارتباك واضح يقف بعد فتــرة ويوجه حديثه باحترام لا يخلو من ارتباك)

التوحيدى :- (بارتباك واضح)

سيدى سعادة الوزير .

(الصاحب ينفجر ضاحكًا وهو يتلوى ويتمايل)

الصاحب :-

اجلس يا أبا حيان ! تكلم ! استأنس – انبسط لا ترع – احسبنى فى جـــوف مرقعة.

(ترتفع ضحكاته وتزداد حركاته)

(أبو حيان التوحيدى فى دهشة تدور فى رأسه صورة كاريكاتورية للصاحب يحادث نفسه) .

صوت التوحيدى :-

عيناه – كأنهما قد ركبتا من زئبق – عنقه كأنه يعمل بلولب .

الصاحب :- (يستطرد من خلال ضحكاته وحركاته الآلية)

لا يهولك هذا الحشم والخدم وهذه الفاشية والحاشية وهذا الطـــاق والـــرواق وهذة المجالس والطنافس.

(يستمر فى حركاته الآلية من خلال ضحكاته) .

صوت التوحيدى :- (يستطرد)

يبدو أنه يعتقد أنه ظريف التثنى والتلوى – رشيق التفكك والتفتل .

الصاحب

(يستطرد مع ارتفاع ضحكاته وازدياد حركاته الآلية)

إن سلطان العلم فوق سلطان الولاية – شرف العلم أعلى من شرف المال .

مع الاستمرار فى الحركة والضحك .

صوت التوحيدى

يا له من رجل كثير التعرج والتموج فى شكل المـــرأة المومـــسة الفـــاجرة الماجنة أو المخنث الأشمط!

الصاحب :- (يستطرد من خلال ضحكاته وحركاته الآلية)

أبا حيان فليفرخ روعك فلينعم بالك – تكلم قل ما شئت .

صوت التوحيدى :-

اللهم اسألك أن تكفينى حصاد لسانى – وغرابة طبعى .

الصاحب :- (من خلال ضحكاته وحركاته الآلية)

تكلم – ولا تكتفى بتحريك شفتيك متمتمًا مغمغمًا – انطلق فلن تجد عندنا إلا الإنصاف والإسعاف ، الانحـاف والأطـراف ، المقاربـة والمواجبـة المؤانـسة والمقابسة.

(أبو حيان التوحيدى يحرك شفتيه ليتكلم ولكنه متردد) .

الصاحب :-

أبا حيان قل – عافاك الله – قل ما بدا لك فأنت مجاب إليه ما دمت ضـامنًا لبلوغ إرادتنا منك وإصابة غرضنا فيك .

(أبو حيان التوحيدى وقد نجح أخيرًا فى استجماع شجاعته) .

التوحيدى :-

سيدى الوزير فلتأذن لى فى كاف المخاطبة وتاء المواجهة .

(هنا يتجمد الصاحب ويكف عن الضحك ويبدأ فى نفش لحيته والعبث فيهـا بعصبية واضحة وقد لوى عنقه وشنج أنفه وعوج شدقه) .

الصاحب :-

كاف المخاطبة ؟! وتاء المواجهة ؟!

(هنا يستشعر التوحيدى خطورة ما طلبه ومع ذلك لا يتراجع – ويكمل بحذر وبكياسة واضحة) .

التوحيدى :-

بعد إذن سعادة الوزير حتى أركب جدد القول من غير تقية ولا تحاشٍ .

(الصاحب تزداد عصبيته – ويصمت لفترة طويلة وهـو ينظـر للتوحيـدى متتمرًا مع غيظ مكتوم يفرغه فى نفش لحيته والعبث بها) .

(أبو بكر الخوارزمى ينعكس التوتر عليه وعلى المجلس كله) .

الصاحب :-

وبعد ؟! فهل يخاطب ربنا إلا بالتاء وإلا بالكاف ؟

الخوارزمى :-

صدق الصاحب ذى الكفايتين .

الصاحب :-

صديق شبابك يا خوارزمى يدعى أبو من ؟!!

التوحيدى :-

أبو حيان.

الصاحب :-

بلغنى أنك تتأدب .

التوحيدى :-

تأدب أهل الزمان .

الصاحب :-

قل لى – أبو حيان ينصرف أو لا ؟!

التوحيدى :- (مازحًا)

قبله مولانا الصاحب لا ينصرف .

(هنا ينتفض الصاحب واقفًا ويبدأ فى الحركة حول نفسه من شدة الغضب) .

الصاحب :-

ملعون ! مأبون ! مأفون ! عدوت طورك يا هذا ! جهلت قـدرك ! نـسيت وزنك!

(الخوارزمي بحرج شديد وارتباك واضح لا يخلو من خوف يحاول تهدئة الصاحب).

الخوارزمى :-

مولانا سعادة الوزير أبو حيان لا يقصد .

الصاحب :-

فلتصحب صديق شبابك هذا إلى قاعة النسخ والوراقة فى دارنـا ولتنتظـرا نجاح خادمنا يحمل لكما رسائلنا لتنسخاها بسرعة .

(ثم يترك الصاحب المجلس وهو يبرطم)

الصاحب :- (يبرطم بألفاظ غريبة)

مخش – مجش – محش – لا يهش ولا ينش ولا يمتش .

الخوارزمى :-

هيا يا أبا حيان إلى قاعة النسخ والوراقة .

التوحيدى :-

توجهت من العراق إلى هذا الباب وزاحمت منتجعى هذا الربع لأتخلص من حرفة الشؤم !! الوراقة والنسخ ببغداد لم تكن كاسدة .

((تلاشٍ سريع))

المشهد السادس عشر

داخلى **ليل صيف حار**

[قاعة النسخ والوراقة – فى دار الصاحب بن عباد . هناك أكثر من منضدة يجلس خلفها أكثر من ناسخ منصرف تمامًا للنسخ عن أصل مرفوع أمامه على حامل خشبى . هناك منضدتان يتجه إليهما أبو بكر الخوارزمى ، وأبو حيان التوحيدى يجلسان خلف المنضدتين فى انتظار الخادم حامل رسائل الصاحب]

(أبو حيان التوحيدى يبدو عليه الغيظ المكبوت – وخيبة الأمل والإحباط) .

التوحيدى :-

أهذا مصير إخوان الصفاء وخلان الوفاء ؟!

الخوارزمى :-

اخفض صوتك يا أبا حيان ولا داع أن تذكرنى بشبابنا الذى ضاع بلا عودة.

(يظهر نجاح الخادم حاملاً ثلاثين من رسائل الصاحب – يوزعها بالتساوى بين الخوارزمى والتوحيدى) .

نجاح الخادم :-

ثلاثون مجلدة من رسائل مولانا الوزير انتهيا من نسخها بسرعة لإرسالها إلى خراسان .

(التوحيدى يقلب الأوراق بين يديه مرتاعًا وينظر إلى الخوارزمى مهمومًا)

(نجاح الخادم يترك القاعة)

التوحيدى :-

هذه الرسائل طويلة .

(الخوارزمى فى صمت يبدأ النسخ) .

الخوارزمى :-

فلتبدأ النسخ فى صمت يا أبا حيان .

(التوحيدى يقرأ فى صمت الرسائل) .

التوحيدى :- (يهمس ساخرًا)

لو أذن لى الصاحب لخرّجتُ من رسائله الطويلة فقرات كالغرر وشذورا تدور فى المجالس كالشمامات والطيبات لو رقى بها مجنون لأفاق ولو نفث بها محسود لبرأ.

(الخوارزمى لا يقاوم الضحك رغمًا عنه - ومع ذلك يحاول كتم ضحكاته).

الخوارزمى :-

فلتصمت يا أبا حيان .

التوحيدى :-

صدق من قال : قئ الوزراء حلواء وصنان الرؤساء عطور .

الخوارزمى :- (محذرًا)

الصاحب ربما يدس بعض النساخ عيونًا وآذانًا على البعض الآخر .

التوحيدى :-

أى إنسان ينسخ هذا القدر من الرسائل ويرجو بعده أن يمتعه الله ببصره أو ينفعه بيده ؟!

(ثم يواصل النسخ بقرف واضح وضجر شديد ، بعد فترة يظهر الصاحب ابن عباد قادمًا من مدخل عابرًا للقاعة للخروج من باب مقابل . أبو حيان التوحيدى الوحيد الذى يرى الصاحب عابرًا - لأنه لم يكن منصرفًا إلى النسخ تمامًا - فيهب واقفًا باحترام - الصاحب وقد لاحظ وقوف التوحيدى به ينهره بشدة) .

الصاحب :-

اقعد . فالوراقون أخس من أن يقوموا لنا .

(بقية النساخين يهبون وقوفًا عند سماع صوت الصاحب ينهر التوحيدى)

التوحيدى :-

لِمَ الإهانة يا ....؟!

(الخوارزمى بسرعة يجذب التوحيدى ليمنعه من إكمال اعتراضه ... الصاحب يواصل خروجه وهو يبرطم) .

الصاحب :- (يبرطم بشتائم غريبة ويقذف البزاق من فمه)

أهوج ! أعوج ! أفلج ! أفحج !

(الخوارزمى يهمس للتوحيدى بعد أن يتأكد من اختفاء الصاحب) .

الخوارزمى :-

احتمل يا أبا حيان، الرجل رقيع .

التوحيدى :-

وما سر استمرارك مع رقيع ؟! لعله كريم معك يا خوارزمى .

الخوارزمى :-

والله إنه لخوار فى المكاره زحاف إلى المآثم . سماع للنمائم . يدعو إلى العدل والتوحيد ثم يخلو للفسوق والفجور ويمسى على بور ويصبح وما على وجهه نور.

(ينفجر التوحيدى ضاحكًا رغمًا عنه. الخوارزمى يحاول منعه من الضحك... يواصلان النسخ لفترة ... أبو حيان التوحيدى مع استمراره فى النسخ ووجهه قريب من الأوراق) .

التوحيدى :- (ينشد بصوت منخفض)

ابن عباد ويحك ما أخسك

بـــل أخصـــك بالعيوب

وجـــه قبيـــح فى التبسم

كيف يحسن فى القطوب

(الخوارزمى مذعورًا ينظر حوله) .

الخوارزمى :- (هامسًا)

من أسمعك هذه الأبيات؟!

التوحيدى :- (هامسًا)

أشعار هجائك للصاحب يحفظها كثيرون فى الرى وربما فى بغداد . ويشاع أن الصاحب يحتفظ بك هنا ويغدق عليك ليشترى سكوتك عن هجائه .

الخوارزمى :-

إذا علم أن أشعار هجائى له تتردد هنا فى داره لن يسكت وقد يغدر بى بـــلا رحمة.

التوحيدى :-

أطمئن لن أنشد هجائك حتى لنفسى .

(يواصلان النسخ)

((تلاشٍ بطىء))

المشهد السابع عشر

داخلى **ليل صيفى حار**

(قاعة الطعام فى دار الصاحب بن عباد هناك مائدة كبيرة على هيئة حــرف u مقلوبة . الصاحب بن عباد يجلس عل قمة المائدة فى صدر القاعة لوحده) .

وينتشر على جانبى المائدة الحضور وقد تقاربت أجسادهم حتــى التلاصــق لتستوعبهم المائدة الحافلة بالأطعمة المختلفة .

وهناك حضور معينين يهمنا معرفتهم :

ابن فارس – مستشار أو تابع الصاحب بد أن كان أستاذ ومؤدب أبى الفتح ابن العميد – إنه يجلس على يمين الصاحب .. وبالتحديد على القمة العليا للجانب الأيسر من المائدة أبو بكر الخوارزمى يجلس على حافة المقدمة الــسفلى للجانــب الأيــسر للمائدة – يقابله على حافة القمة السفلى للجانب الأيمن من المائدة أبو حيان التوحيدى.

الصاحب بينما يأكل بشراهة .. يتابع بعين غامضة الآكلين الواحد بعد الآخر وقد بدأ على وجهه الزهو والمن على الآكلين – نجاح الخادم يقف خلف ظهر سيده الصاحب يتابعه بيقظه كاملة تدور الأشداق وتطحن الضروس الطعام لفترة . فجــأة يقف شىء ما فى حلق الصاحب بن عباد – يوشك أن يختنق.

الصاحب :– (يصرخ مستغيثًا)

الماء يا نجاح – بسرعة .

(الخدم بسرعة يقدمون كأسًا به ماء تعوم فيه قطع الثلج – الــصاحب يرفــع الكأس على فمه حتى يبلع ما وقف فى زوره ثم يتجشأ بصوت منفــر – ويعــاود الشراب من الكأس حتى يرتوى ويتجشأ بصوت منفر) .

الصاحب :- (بنشوة ينشد)

قعقعة الثلج بماء عذب

تستخرج الحمد من أقصى القلب

أصوات الحضور :- (متداخلة)

هنيئًا مريئًا سعادة مولانا الوزير .

الصاحب :- (بعد أن يتجشأ)

أود أن أسمع رأى الحضور على مائدتنا . أين مائدتنا من مائدة أبى الفضل ابن العميد ؟ ومن مائدة وحيده أبى الفتح بن العميد؟ أين طعامنا وإطعامنا من طعام وإطعام آل العميد قبل موتهما ؟

الحضور :- (من خلال أفواه محشوة بالطعام)

أبو الفضل بن العميد كان على بخل أحال نهاره ليلاً – وألصق به ثبورًا وويلاً

(أبو حيان التوحيدى مستمرًا فى الأكل وبأذنيه يتابع المنافقين يذمون أبا الفضل . فيتكلم فى سره) .

صوت التوحيدى :-

على بابك حجابك يضربون بالمقارع وجوه الناس .

الحضور :-

أبو الفضل أكول لأرزاق العباد .

صوت التوحيدى :-

حجابك يحطون على رؤوس المنتجعين العذاب طردا لهم وإبعادًا .

الحضور :-

البخيل ميت – والكريم مخلد.

صوت التوحيدى :-

انتجاعك وسيلتك للاستخفاف بالأحرار والوضع من ذوى الأقدار.

الصاحب :-

للآن لم أسمع شعر الشعراء منكم فى كرمنا (ساخرًا) وكرم أبى الفضل ابن العباد .

شاعر أول :-

الأستاذون فى الدنيا كثير

فدا الصاحب سيدنا الرئيس

وأبو الفضل الرئيس فداء كلب

فما هو بالرئيس ولا النفيس

شاعر ثان :-

من ضن بمعروف

عددناه من الموتى

فكانت راحة منه

ومن سوف ومن حتى

(يضحك الصاحب فى نشوة بلهاء) .

صوت التوحيدى :-

كافر بولى نعمتك .

الصاحب :- (بزهو وتفاخر)

كان أبو الفضل سيدًا ولكن لم يشق غبارنـــا ولا أدرك شـــوارنا ولا مـــسح عذارنا ولا عرف عرارنا لا فى علم الدين ولا فيما يرجع إلى منافع المسلمين .

الخوارزمى :- (منافقًا)

مولانا الصاحب نشأ فى الوزارة فى حجرها ودب ودرج فى وكرها ورضع أفاويق درها وورثها عن أبيه .

الصاحب :-

أما وحيده الرقيع أبو الفتح بن العميد فصبى طياش فلاش ليـــست عنـــده إلا قاش وقماش مثل ابن عياش والحواش ، لم أسمع للآن من حضور مائدتنا رأيا فى مائدة أبى الفتح بن العميد .

أحد الحضور :-

بعد موت أبى الفضل أبيه أمر أبو الفتح بنقل المطبخ إلى دار النساء

(ينفجر الصاحب ضاحكًا فى دعارة واضحة) .

الصاحب :- (ضاحكًا بخلاعة)

حمدًا لله – صار الطعام حرًا والخبز عورة ، أبو الفتح كان يـــصون الخبـــز كما تصان ذوات الخدور وأصحاب المقانع .

أحد الشعراء :-

إن ماهممت بأبى الفتح فاقتك بخبزته

فإن موقعها من لحمه ودمه

مـــا كان أحسنـــه لـــو أن غيـــرته

على خبزه كانت على حرمه

(يضحك الصاحب بخلاعة ومعه بقية الحضور فيما عدا أبو حيان التوحيدى الشارد الذهن مع استمراره فى الأكل ببطء) .

الصاحب :-

أبا حيان – لم أسمع رأيك فى (ساخرًا) كرم أبى الفتح بن العميد .

التوحيدى :- (بارتباك واضح)

مولانا الوزير – فلنذكر محاسن موتانا .

الصاحب :- (بضيق يخفيه)

أعلم أنك انتجعت أبا الفتح عندما زار بغداد بعد الفتنة الكبرى .

التوحيدى :- (باقتضاب)

نعم رأيته وحضرت مجالسه فى بغداد .

الصاحب :-

وأرسلت له رسالة ملتمسًا الانتجاع لديه فى الرى أليس كذلك يا شيخنا بن فارس؟

ابن فارس :-

رسالة شهيرة – كنت وقتها مؤدبًا لأبى الفتح واحتفظت بالرسالة – بالصدفة البحتة .. أحمل الآن نسخة من الرسالة (ثم يخرج الرسالة من أحد جيوب ردائه) .

الصاحب :-

أبا حيان – لتقرأ لنا الرسالة الآن .

التوحيدى :-

مولانا الوزير – الرسالة طويلة و .....

الصاحب :- (ساخرًا بحدة)

طويلة إ .... أطول من رسائلى التى أردت أن توجزها قبل نسخها يـــا أبـــا حيانٍ؟

التوحيدى :- (بارتباك واضح لا يخلو من خوف)

مولانا الوزير .

الصاحب :- (بحدة)

فلتقرأ الرسالة لنا وكأنك تخاطب أبا الفتح .

التوحيدى :-

مولانا الوزير – ما ضرورة أن أقرأ رسالة – مقروءة لديكم ؟

الصاحب :-

ابن فارس – فلتختر للتوحيدى فقرة بعينها لنسمعها بصوته الآن .

ابن فارس :-

فلتقرأ يا أبا حيان الفقرة التى تبدأ بقولك : أُصلح أديمى فقد حلم (ابن فـــارس يسلم الرسالة للتوحيدى بتمريرها من يد ليد من الحضور على المائدة حتى تـــصل إلى يد التوحيدى) .

(التوحيدى ينظر فى الرسالة وقد استشعر الخزى والمهانة التـــى يـــستهدف الصاحب أن يراه فيهما – بسماع كلماته التى سبق أن كتبها منذ سنوات إلـــى أبـــى الفتح بن العميد عندما زار بغداد . يشرد ذهنه لفترة متذكرا) ..

((تلاشٍ بطىء))

المشهد الثامن عشر

داخلى **منتصف ليل صيفى حار**

[عودة إلى مسكن التوحيدى. أبو حيان التوحيدى وقد تجاوز الأربعين من عمره – إنه يجلس خلف منضدة منخفضة مهتزة للكتابة – وقد أمسك بالريشة استعدادًا لكتابة رسالته الشهيرة إلى أبى الفتح بن العميد] .

التوحيدى :- (قبل الكتابة يغمغم)

فلأختر كلمات بعينها لأبى الفتح يشاع أنه شأن جميع الكبراء .. يعشق سماع المديح ويطرب له . كلمات المديح وربما الاستعطاف تسحره ..(مازحًا) فلأكتب له تعويذه سحرية لا فكاك منها .

(ثم يبدأ الكتابة صامتًا لفترة – الكلمات متعسرة لا تتدفق بسهولة ؛ لذا فهو يعانى يدقق فى اختيار الكلمات) .

صوت الصاحب :- (من خارج المشهد)

اقرأ يا أبا حيان – بصوت مسموع لنا.

((تلاشٍ بطىء))

المشهد التاسع عشر

داخلى **ليل صيفى حار**

[عودة سريعة إلى قاعة الطعام فى دار الصاحب التوحيدى يفيق من شروده]

(ومرغمًا يبدأ القراءة بصوت مسموع يبدأ خافتًا مثقلاً بالإحساس بالخزى والمهانة المتصاعدة تدريجيًا إلى الذروة) .

التوحيدى :- (يقرأ بمعاناة متصاعدة)

أصلح أديمى فقد حلم . جدد شبابى فقد هرم . انطق لسانى فقد حصر . افتح بصرى بنعمتك فقد سدر . رش عظمى فقد براه الزمان . واكسِ جلدى فقد عراه الحدثان . أيتها الشمس المضيئة بالكرم والقمر المنير بالجمال – والنجم الثاقب بالعلم الوقاد . بالجود والبحر الفياض بالمواهب (الدموع تخنق التوحيدى) لقد سقط العشاء (العشى) بعبدك على سرجك (بابك) فاقره فى نعمته بما يضاهى قدرك (ثم ينفجر باكيًا منهارًا من معاناة الإحساس بالخزى والمهانة)

الصاحب :- (ينفجر ضاحكًا بشماتة واضحة)

الحضور :-

يشاركون الصاحب فى السخرية من التوحيدى .

(يظهر أحد البصاصين ليسلم لابن فارس مكتوبًا أسطوانى الشكل . ابن فارس يفض المكتوب يقرأ بسرعة ثم يسلمه إلى الصاحب يقرأ المكتوب) ...

الصاحب :-

هذا تقرير لنا من كبير البصاصين يقول : فى دار مولانا الوزير رجل يأكل من خبزكم وملحكم – ويهجوكم فى أشعاره البذيئة . وردى على هذا التقرير.. (يمسك بريشة تقدم له بسرعة – ويكتب) .

الصاحب :- (ينطق ما يكتبه بصوت مسموع)

دارنا هذه حان يدخلها من وفى ومن خان

ثم يوقع ويوجه كلامه لأبى بكر الخوارزمى.

الصاحب :- (بنبرة تهديد)

أليس كذلك يا أبا بكر الخوارزمى ؟!!

((تلاشٍ سريع))

المشهد العشرون

داخلى **ما بعد منتصف الليل**

[عودة إلى قاعة النسخ والوراقة الملحقة بمكتبة الصاحب بن عباد فـــى داره بالرى . الجو متوتر – هناك الصاحب فى ذروة غضبه وهناك ابن فـــارس يحمـــل أوراقًا وهناك جلادان .. يعدان موقدًا من نار مشتعلة .. وقد وضـــعا بهـــا أداتـــين معدنيتين لزوم "الوشم" وهناك أبو حيان التوحيدى – وأبو بكر الخوارزمى – وبقية الحضور فى المشهد السابق] .

الصاحب :- (فى ذروة غضبه)

ابن فارس – فلتسلم ابن الخوارزمى أشعاره التى وجدها البـــصاصون فـــى مسكنه .

(ابن فارس يسلم الأوراق لأبى بكر الخوارزمى) .

الصاحب :-

هل هذه أوراقك ؟!

الخوارزمى :- (بصوت مرتعش بالخوف)

أوراقى يا مولانا الوزير .

الصاحب :-

وبخط يدك ؟!

الخوارزمى :-

وبخط يدى يا مولانا الوزير .

الصاحب :-

وكتاباتك – من تأليفك؟!

الخوارزمى :-

بعضها من تأليفى والبعض لكتاب آخرين .

الصاحب :-

وجميعهم يهجوننى بما فيهم أنت يا خوارزمى ؟!

الخوارزمى :-

أجل يا مولانا الوزير .

الصاحب :-

وبخط يدك نسخت هجاء لكتاب آخرين .

الخوارزمى :-

مولانا الوزير – أعترف ولك الحق أن تفعل بى ما تشاء – فأنا أستحق عقابك .

التوحيدى :-

هذا إذا لم يتفضل مولانا الصاحب بالعفو عنك – فيغفر لك يا خوارزمى .

الصاحب :-

صديق شبابك يطمع فى عفوى عنك .

التوحيدى :-

وأنت لها يا مولانا الصاحب والله غفور رحيم .

الصاحب :-

ليس قبل أن يقرأ الخوارزمى الآن بعضًا من هجائه لى

الخوارزمى :-

مولانا الوزير – القتل علىَّ أهون من مواجهتك بهجائى .

الصاحب :-

وأنا أصر على سماع هجائك لى بلسانك الذى ما يزال يعلق به مذاق طعامنا خبزنا وملحنا .

الخوارزمى :- (بصوت مرتعش يقرأ)

يا بن عباد بن عباس

بن عبد الله خذها

تنكر الجبر وقد ...

(يتوقف الخوارزمى عن إكمال قراءة المكتوب) .

الصاحب :-

أكمل يا خوارزمى ولا تتحرج .

الخوارزمى :- (يكمل الشعر)

تنكر الجبر وقد أخر

جت للعالم كرها

الصاحب :-

من قائل هذا الشعر ؟!

الخوارزمى :-

معذرة يا مولانا الوزير لا أذكر . لم أكن أسجل اسم كاتب مختاراتى من كتابات غيرى .

الصاحب :-

مختاراتك فى هجائى .

الخوارزمى :-

مولانا الوزير عجل بقتلى ولا داع لهذا العذاب الذى يفوق القتل قسوة .

الصاحب :-

اطمئن عقابك سيفوق القتل قسوة أكمل بعضًا آخر من مختاراتك وإبـــداعاتك في هجائي .

الخوارزمي :- (مرغمًا يقرأ)

الصاحب له في البلاغة قرآن معجز وفي الرقاعة آية منزلة – لا ينزع عن المساوئ إلا مللا ولا يأتي الخير إلا كسلا . ظاهره ضلالة وباطنه جهالة وليس له في الكرم دلالة. (يتصنع الضحك والسخرية مما يسمع) .

الصاحب :-

استمر يا خوارزمي

الخوارزمي :-

حضرة الصاحب بلاء عظيم

(الخوارزمي يتوقف عن القراءة) .

الخوارزمي :-

مولانا الوزير رحمة بي عجل بقتلي .

الصاحب :-

قتلك أسهل عقاب تستحقه – استمر في قراءة مختاراتك .

الخوارزمي :- (يقرأ)

والله ما رأيت رجلاً في جنون الصاحب أعقل منه ولا في عقله أجن منـــه . إنه لأعجوبة – عدوه هالك لسلطانه ! ووليه خائف من كثرة ألوانه لا عهد لـــه ولا وفاء لا صدق ولا لطف كله هزل وجميعه جهل .

(الصاحب تنطلق منه من حين لآخر ضحكات عصبية) .

(وقد أدرك مصيره . يقرر أن يواجه الصاحب بما يقرأه بلا خوف بل يقرأه بقوة .. وكأنه قد وجد الفرصة لينتقم مقدمًا لنفسه بهجاء قاتله بعد قليل) .

الخوارزمى :-

وجه الصاحب وجه خنزير وعقله عقل ثور وكلامه كلام مبرسم وحركته حركة مخنث .

الصاحب :- (يقاطعه بحدة)

للآن لم أسمع هجائك لى يا خوارزمى .

(الخوارزمى يطبق الأوراق ويرتجل هجاء يواجه به الصاحب) .

الخوارزمى :- (يرتجل شعره فى تحدٍ واضح)

لا تحمدن ابن عباد وأن هطلت يداه

بالجود حتى أخجل الدنيا

فأنها خطرات من وساوسه

ويعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما

(الصاحب فى ذروة عصبيته كالمجنون يقاطعه صارخًا)

الصاحب :-

والله لولا شيخوختك لكنت قد كسرت على رأسك أدواتك وأطعمتك بولك وخراءك وبعدها قطعتك تقطيعًا ومزعتك تمزيعًا وأدخلتك فى حر أمك .

التوحيدى :-

مولانا الصاحب.

الصاحب :-

أنا الذعاف لمن حسانى . الحراف لمن عصانى . الجحاف لمن عنانى. أو حرك عنانى ... أنا أخمص فوق هامة الدهر . ولدت ونجم الشعر فى طالعى،

ولولا دقيقة لأدركت النبوة، وقد أدركت النبوة إذ قمت بالذب عنها والنـصرة لهـا، فمن ذا يجارينا ويمادينا ويعادينا ويضاربنا ويسارينا ويشارينا ؟

(ثم يصرخ فى رجاله – الذين يرتعدون رعبًا منه ويسارعون بتنفيذ أوامره).

الصاحب :-

ركعوا الخوارزمى وظهره أمام منضدة النسخ – واجعلوا من جبهته صـفحة بيضاء استعدادًا للكتابة عليها .

(الصاحب يمسك بريشة من فوق منضدة النسخ يغمسها فى دواة حبـر ثـم يمدها لأبى حيان التوحيدى) .

الصاحب :-

خذ يا أبا حيان فوق جبهة صديق شبابك اكتب ما سأمليه عليك .

(تهتز يد أبى حيان وتسقط الريشة من يده) .

التوحيدى :- (بصوت مرتعش)

معذرة يا مولانا الوزير لن أفعلها مع صديق شبابى أو غيره – تقطع يـدى ولن أفعلها يا مولانا الوزير.

الصاحب :- (متوعدًا بصوت مسموع)
هكذا يا أبا حيان؟!!

(ثم يلتقط ريشة أخرى يغمـسها فـى دواة الحبـر – ثـم يمتطـى سـاقى الخوارزمى ليصبح فوق جبهته الملقاة للخلف على حافة المنـضدة – ويبـدأ فـى الكتابة على جبهة الخوارزمى).

الصاحب :- (بصوت مسموع)

لعن الرحمن من يكفر بالنعم .

(الصاحب يخاطب الجلادين)

الصاحب :-

بأقلامكم الحديد المغموس فى نار حمراء أوشما لعنتى الأبدية علـــى جبهـــة الخوارزمى .

(الجلادان وقد أمسكا بقلمين طويلين من الحديد المغموس فى نيران الموقـــد لفترة طويلة يزحفان نحو جبهة الخوارزمى) .

((تلاشٍ سريع))

المشهد الحادى والعشرون

داخلى **مساء اليوم التالى**

[عودة إلى قاعة مجلس الصاحب مع الأدباء والعلماء والشعراء وغيرهم].

(الصاحب بن عباد يتوسط المجلس بن فارس عن يمينه . وهناك أبو حيان التوحيدى – وأبو بكر الخوارزمى – الصامت طوال المشهد بعد أن وشمت جبهته وقد أسقطت حافة عمامته للأمام على جبهته لتخفى الكلمات الموسوم بها جبهته . من الواضح أنه كسير النفس ومرغم على الاستمرار فى مجلس الصاحب وهناك آخرون فى المجلس .

(الصاحب يوجه كلامه إلى أبى بكر الخوارزمى)

الصاحب :-

أبا بكر الخوارزمى ! فلتعترف برحمتنا .

وسماحتنا معك فها أنت ما تزال فى مجلسنا .

بالرغم من هجائك لنا .

(لا شعوريًا ترتفع يد الخوارزمى لعمامته لينزلها أكثر على جبهته) .

(ينفجر ضاحكًا)

الصاحب :-

الوشم على جبهتك !! أليس أرحم من السجن ؟! وأهون من قتلك أو إلقائك تحت أقدام الفيلة لتدوسك مثلما فعل عضد الدولة ملك الأمراء مع رئيس ديوان الرسائل ابن إسحق الصابى ؟!!

التوحيدى :- (مذعورًا يصرخ)

ابن إسحق الصابى تحت أقدام الفيلة ؟!!

الصاحب :-

أيهمك أمر الصابى يا أبا حيان ؟!!

التوحيدى :-

الصابى صديق شبابى تمامًا مثل أبى بكر الخوارزمى . ابن إسحق الصابى كان وما يزال عزيزًا على قلبى يا مولانا الوزير .

الصاحب :-

فليطمئن قلبك – لقد تشفع أبو القاسم ابن عبد العزيز ابن يوسف .

التوحيدى :-

ابن يوسف الكاتب؟!

الصاحب :-

وآخرون غيره تشفعوا للصابى لدى ملك الأمراء فتعطف جلالته واكتفى بإلقاء الصابى فى السجن .

التوحيدى :-

كان الله فى عون الصابى .

الصاحب :-

الصابى – يستحق ما جرى له وأكثر . أكثر من مرة دعوته لانتجاعى هنا فى الرى ليكون كاتب رسائلنا ولكنه اعتذر لى مفضلاً (ساخرًا) البقاء فى بغداد حتى يدفن فى ترابها .

التوحيدى :- (يغمغم بكلمات غامضة)

الصاحب :-

فلتعترف يا أبا حيان برحمتنا وسماحتنا معك أنت أيضًا – وعلى الرغم من تطاولك على رسائلنا بدعوى طولها . وبالرغم من معاندتك لإرادتنا برفضك الكتابة على جبهة الخوارزمى فها أنت مازلت بيننا – فى مجلسنا حيًا ترزق – وتطعم زادنا .

التوحيدى :-

بارك الله فى رحمة مولانا الوزير وعوضكم الله خيرًا عن سماحتكم .

الصاحب :-

شيخنا ابن فارس قرأ علينا رسالتك الشهيرة حول ما جرى يوم السقيفة .

التوحيدى :-

هذه الرسالة يا مولانا الوزير فى الحقيقة يرجع الفضل فيهـا إلـى شـيخى وأستاذى أبى حامد المرورودى رحمة الله على روحه فهو الذى حكى فى رسالة له وقائع وأحداث يوم السقيفة وبنفس العنوان تقريبًا.

الصاحب :-

الرسالة تنضح بالكراهية للتشيع كمذهب دينى وبالتعصب ضدنا نحن الشيعة.

(يبدو الذعر على أبى حيان التوحيدى) .

ابن فارس :-

ونفس الرسالة ساهمت فى تعميق العداء بين الشيعة والسنة .

التوحيدى:-

أنا لا صلة لى بالرسالة سوى صياغة وقائعها وأحـداثها بأسـلوبى الأدبـى ككاتب يا مولانا الوزير .

الصاحب :-

أسلوب مفوف – مشوف يا أبا حيان .

(أبو حيان التوحيدى لم يفهم معنى كلمات الوزير واعتقد أنه يمدح أسلوبه فوجدها فرصة مناسبة ليمدحه وينافقه ليصلح من غلطته فى رسائل الصاحب الطويلة) .

التوحيدى :-

وكيف لا يكون أسلوبى كما تفضل مولانا الوزير بوصفه وأنا أقطف من ثمار رسائلكم وأستقى من قليب علمكم وأشيم بارقة أدبكم وأرد ساحل بحركم وأستوكف قطر مزنكم .

الصاحب :- (ينفجر غاضبًا)

كذبت وفجرت لا أم لك - أين أسلوبك من أسلوبنا ؟! أسلوبنا فى السماء وأسلوبك فى ال ... ال ... السماد .

ابن فارس :-

فليهدأ مولانا الوزير . أبو حيان لم يفهم معنى كلماتك عن أسلوبه المفوف المشوف كما أنه محدث نفاق لا يجيد النفاق.

التوحيدى :-

ماذا يقصد شيخنا ابن فارس؟

ابن فارس :-

مولانا سخر من أسلوبك المفوف المشوف فى رسالتك يوم السقيفة التى كتبتها منذ سنوات طويلة قبل أن تشرف بسماع أسلوب سعادته .

(ينفجر ضاحكًا بخلاعة ورقاعة) .

الصاحب :-

منذ انتجاعك حضرتنا يا هذا وأنت تحرق دمنا وتعكر مزاجنا تارة بالتطاول على رسائلنا وعلى أسلوبنا وتارة أخرى بالعناد وتحدى إرادتنا برفضك الكتابة على جبهه الخوارزمى .

ابن فارس :-

لا تغضب يا مولانا الوزير فالتوحيدى دائمًا هو التوحيدى لا يتغير – دائمًـا يتصادم مع من يعلوه مقامًا وقدرًا ورفعة .

التوحيدى :-

يا شيخ ابن فارس لِمَ هذه الاتهامات الظالمة ؟!!

ابن فارس :-

ومرجع ذلك – مرض فى أعماق التوحيدى كامن كجرثومة صلف– كبر .. آنفه ولهذا فشل فى التعامل مع أبى محمد المهلبى وزير مولانا معز الدولة رحمـه الله عليهما ومن بعده فشل فى التعامل مع آل العميد وها هو يفشل فى التعامل مـع مولانا الصاحب .

التوحيدى :-

مولانا الوزير فلتحمنى من ..

ابن فارس :-

والعيب دائمًا فى أعماق التوحيدى الآفة فى أصل وجوده فى الحياة أقصد منبته ال ....

التوحيدى :- (يقاطعه صارخًا)

اتهامات الشيخ ابن فارس ظالمة لا يملك دليلاً على صحتها .

ابن فارس :-

لقد وقف الوزير المهلبى على جميع دخلتك ياابن التوحيـدى وعلـى سـوء عقيدتك وما تبطنه من الإلحاد .

التوحيدى :-

مولانا الوزير – لترحمنى من هجوم وافتراءات الشيخ ابن فارس .

(الصاحب خلال ذلك يضحك شامتًا ساخرًا من هلع التوحيدى المتصاعد)

الصاحب :-

استمر يا شيخنا ابن فارس اكشف لنا حقيقة هذا ال - الابن توحيدى .

ابن فارس :-

كما كشف المهلبى إيمانه بما يسميه الحج العقلى إذا ما تعذر الحج الشرعى .

الصاحب :-

نفس عقيدةِ المارق حلاج الأسرار.

ابن فارس :-

فأمر المهلبى بنفيه خارج العراق وقضى التوحيدى سنى نفيه فى الأرض المقدسة التى لا يؤمن بدينها الحنيف .

التوحيدى :-

بل سافرت إلى مكة ماشيًا بغرض الحج .

ابن فارس :-

مع صحبة من دراويش التصوف كنوع من التقية بعد أن تعرت حقيقتك للجميع .

التوحيدى :-

مولانا الوزير - هذا فخ ينصبه لى الشيخ ابن فارس - إنه يحاكمنى فى مجلسكم انتقامًا لنفسه لأننى عارضته منذ سنوات فى مجلس أبى الفتح بن العميد فى بغداد .

ابن فارس :-

ومن تكون لأنتقم منك يابن بائع البلح ؟!

(الصاحب – مستمر فى ضحكاته الشامتة) .

ابن فارس :-

ويشاع أنك كنت عضوًا فى جماعة إخوان الصفاء وخلان الوفاء .

الصاحب :-

عصابة سرية . كما علمت وتعاليمها حلاجية .

ابن فارس :-

ومولانا الوزير طبعًا لا ينسى موقفه المعادى للشيعة والتشيع فى رسالته يوم السقيفة .

التوحيدى :-

مولانا الوزير .. الرسالة ليست رسالتى كما سبق أن ...

الصاحب :-

يكفى اهتمامك بها وحرصك على كتابتها كما تقول بأسلوبك المفوف المشوف .

ابن فارس

مولانا الوزير – هذه حيلة من حيل التوحيدى – يكتب ما يحلو لـــه كتابتـــه وينسبه إلى غيره ليقول كل ما يريد قوله على لسان آخرين .

الصاحب :-

مثلما فعل مع أبى حامد المروروذى فى رسالة يوم السقيفة .

ابن فارس :-

ومثلما أنطق شيخًا يدعى أبو اسحق النصيبى كلامًا ملحدًا عن أهل الجنة فى إحدى مقابساته .

((تلاشٍ بطىء))

المشهد الثاني والعشرون

داخلي **ليل صيفي**

[في دار اسحق النصيبى حيث يعقد مجلسه الفلسفى .. لجمع من تلاميذه ومن بينهم أبو حيان التوحيدى فى الخامسة والأربعين من عمره] .

(النصيبى فى صدر مجلسه – وحوله مريدوه وتلاميذه من طلاب المعرفة والفلسفة) ..

النصيبى :-

ما أعجب أمر أهل الجنة !

التوحيدى :-

ماذا يقصد شيخنا النصيبى ؟!

النصيبى :- (يقاطع التوحيدى ليكمل)

أعجب – كيف يبقون أبدًا فى الجنة ؟ لا عمل لهم إلا الأكل والشرب والنكاح . أما تضيق صدورهم ؟! أما يكلون ؟ أما يربأون بأنفسهم عن هذه الحالة الخسيسة التى هى مشاكلة لحال البهيمة ؟! أما يضجرون ؟!

التوحيدى :-

يا شيخنا – إن نعيم الجنة كما أفهم من القرآن الكريم – نعيم عقلى لا نعيم حسى والعقل لا يعتريه الملل ولا تصيبه الكلفة – ولا يمسه اللغوب .

[من خارج المشهد نسمع]

صوت الصاحب :-

زنديق – كافر – ملحد تستحق القتل يا ابن بائع البلح .

((تلاشٍ سريع))

المشهد الثالث والعشرون

خارجى **ما قبل فجر ليل صيفى**

[مفترق طرق وسط صحراء شاسعة ممتدة بلا نهاية . هناك شيخان بشريان بأنفاس لاهثة منهكة يصلان إلى مفترق الطرق يجلسان ليلتقطا أنفاسهما . إنهما التوحيدى والخوارزمى].

التوحيدى :-

حمدًا لله ... نفذنا بجلدنا من مطاردة كلاب الصاحب بن عباد .

الخوارزمى :-

وها نحن غريبان فى مفترق طرق .

التوحيدى :-

طول حياتى – من غربة إلى غربة (ساخرًا) يا قلبى لا تحزن .

الخوارزمى :-

الغريب أينما حطت ركائبه ذليل . الغريب قصير اليد كليل اللسان أعمى البصر .

التوحيدى :-

أين أنت يا خوارزمى من غريب مثلى لا سبيل له إلى الأوطان ولا طاقة به على الاستيطان ؟! غربة أبدية خلالها قد علانى الشحوب – غلبنى الحزن !! أكلنى الخمول! مصنى الذبول ! حالفنى النحول . إن قربت قربت خاضعًا وإن بعدت بعدت خاشعًا. إن ظهرت ظهرت ذليلاً وإن تواريت تواريت عليلاً . إن أصبحت أصبحت حائل اللون من وساوس الفكر وإن أمسيت أمسيت منتهب السر من هواتك الستر . إن قلت قلت هائبًا ، وإن سكت سكت خائبًا.

الخوارزمى :-

الغريب يا أبا حيان من غربت شمس جماله واغترب عن حبيبه وعزالـه .. الغريب من غرب واستغرب فى ثوبه البالى وسرباله – الغريب يا أبا حيـان مـن نطق وصفه بالمحنة بعد المحنة . الغريب من إن حضر كان غائبًا وإن غاب كـان حاضرًا – الغريب من إن رأيته لم تعرفه وإن لم تره لم تـستعرفه . أمـا سـمعت القائل– بم التعلل ؟ لا أهل ولا زمن ولا نديم ولا كأس ولا سكينة .

التوحيدى :-

الغريب من لبسته خرقة وأكلته سلقة وهجعته خفقة – الغريب فى الجملة من كله حرقه وبعضه فرقة .

الخوارزمى :-

الغريب من ليله أسف ونهاره لهف غ. ذاؤه حزن وعشاؤه شجن .

التوحيدى :-

الغريب سره علن – وخوفه وطن .

الخوارزمى :-

لهذا سأكف عن أن أكون غريبًا . اللعنة على الغربة سأعود إلـى خـوارزم إلى وطنى – مسقط رأسى .

التوحيدى :-

أغرب الغرباء من صار غريبًا فى وطنه يا خوارزمى لا اسم له فيذكر ولا رسم له فيشهر ولا طى له فينشر ولا عذر فيعذر ولا ذنب لـه فيغفـر ولا عيـب فيستر . تعالى يا خوارزمى لنبكى على حالنا .

الخوارزمى :-

يا أبا حيان ليس أمامى وأمامك سوى العودة – العودة إلى الرحم الدافئ .

التوحيدى :-

أنت إلى خوارزم وأنا إلى بغداد .

الخوارزمى :-

إلى الرحم الدافئ الذى سبق أن لفظنا إلى الوجود على أرضه . نعود لنعيش فيه حتى يسترجعنا من جديد إلى أعماقه الباردة بلا عودة .

التوحيدى :-

فى بغداد .. لا مورد رزق لى .. ليس أمامى سوى أن أعمل عمــلا يــدويا (مازحًا) والآن أظن أننى قد أصبحت أجيد النسخ بعد أن تدربت على نسخ رســائل الصاحب بن عباد بالرغم من طولها وغثاثتها .

الخوارزمى :-

وداعًا يا أبا حيان يا توحيدى .

التوحيدى :-

وداعًا يا أبا بكر يا خوارزمى .

(يتعانقان فى حرارة – ثم يفترقان – كلٌ فى طريقه إلى وطنه – إلى مــسقط رأسه) ...

((تلاشٍ بطىء))

الجزء الثانی

المشهد الرابع والعشرون

داخلى **ليل شتوى**

[حجرة التوحيدى فى بغداد]

(التوحيدى – بعد عودته لبغداد هاربًا من الصاحب بن عباد – أنه يفترش حصيرة متهرئة على الأرض – إنه نائم ويعانى كابوسًا خانقًا.

(ثم يهب التوحيدى من نومه مذعورًا . أنفاسه لاهثة ينظر حوله مرعوبًا وهو يلملم أعضاءه الممزقة وتدريجيًا يفيق من كابوسه تهدأ أنفاسه) .

التوحيدى :– (وقد أفاق)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . يا له من كابوس جحيمى فظيع ! أعوذ بالله.

هنا يظهر الدويرى الكاتب المعاصر بملابسه المعاصرة ويتقدم نحو التوحيدى.

الدويرى :–

حمدًا لله على سلامتك يا عمنا أبا حيان .

التوحيدى :– (بريبة وشك)

من تكون يا هذا ؟!

الدويرى :–

رفيق رحلتك .

التوحيدى :–

رحلتى ؟!

الدويرى :–

رحلتك من غربة إلى غربة (مازحًا) يا قلبى لا تحزن .

التوحيدى :-

اطمئن يا هذا .. لن أتراجع عن الصفقة .

الدويرى :--

تقصد اتفاقنا

التوحيدى :-

كأس حنظل غربتى سأتجرعه حتى الثمالة .

الدويرى :-

مرارة الحنظل أتجرعها معك يا شيخنا .

التوحيدى :-

لقد أذلنى السفر من بلد إلى بلد .. وخذلنى الوقوف على باب بعد باب وعندما عدت إلى بغداد مقررًا البقاء فى وطنى ومسقط رأسى .. أنكرنى العارف بى . تباعد عنى القريب . الدنيا فى عينى أصبحت مسودة ! وأبواب الخير منسدة لثقل المؤنة وقلة المعونة . هذا مع اشتعال الشيب وخمود النار وأفول شمس الحياة وسقوط نجم العمر – وقلة حصول الزاد ولم يكن أمامى سوى قبول ما سبق أن تعاليت عليه بعناد صبيانى بالرغم من نصح شيوخى .. لم يكن أمامى سوى العمل فى حرفة الشؤم .. كناسخ فى وكالة الوراقين مع شيوخى وأساتذتى وقد تقدم بهم العمر ولقد فوجئت فى الوكالة بوجود صديق شبابى أو فلأقل رفيق شبابى فأنا لا صديق لى ولا شبه صديق . بن لنكك البصرى وجدته فى الوكالة يعمل ناسخًا مما خفف على حتمية احتراف حرفة الشؤم .

((تلاشٍ سريع))

المشهد الخامس والعشرون

خارجى **صباح يوم شتوى**

[فى وكالة الوراقين – بغداد ما بعد عام ٣٧٠ هـ وهناك الناسخون منصرفون إلى عملهم] ...

(أبو سليمان السجستانى وقد تقدمت به السنين كثيرًا – أبو السعيد السيرافى – وقد تقدم به العمر كثيرًا – وشيخ يوشك أن يصبح ضريرًا – فهو يقوم بالنسخ – وقد لصق عيناه فى الورق أمامه – وهو متقدم فى العمر ويبدو بؤسه واضحًا – وهناك أبو حيان التوحيدى قد تجاوز الخمسين من عمره بكثير وابن لنكك البصرى .. وهو شاعر شديد التشاؤم وفى نفس عمر التوحيدى . وهناك ناسخون – شيوخ وشباب آخرون – منصرفون إلى النسخ . يسيطر الصمت على الوكالة لفترة) .

التوحيدى :–

ابن لنكك – هل تذكر أيام شبابنا ؟! عندما كنا نتردد على وكالة الوراقين الصابى والخوارزمى وأنت وأنا لحضور دروس وندوات ومناظرات شيوخنا أبا سليمان السجستانى وأبو سعيد السيرافى وغيرهما .

ابن لنكك :–

طبعًا أذكر كانت أيام تحصيل المعرفة والتسلح بالعلم .. ولكن ها نحن نعود فى كهولتنا لوكالة الوراقين كناسخين ووراقين لنحصل على قوت يومنا بالكاد .

التوحيدى :–

ليتنى سمعت نصح أستاذى أبى سليمان وشيخى السيرافى .

(التوحيدى يتعمد رفع صوته لكى يصل كلامه لأبى سليمان وللسيرافى) .

(أبو سليمان والسيرافى منصرفان لعملهما ويتجاهلان محاولات التوحيدى للتقرب إليهما ومصالحتهما) !!

التوحيدى :-

أستاذىَّ أبا سليمان شيخى أبا سعيد فلتقبلا اعتذارى ولتسامحانى .

أبو سليمان :-

لا داع للاعتذار يا أبا حيان يكفى أنك قد عدت إلى صوابك واهتديت إلى أن العمل لكسب القوت أكرم من انتجاع الوزراء والكبراء.

(الشيخ كليل البصر .. يجد صعوبة فى مواصلة النسخ . عيناه تدمعان مما يمنعه من مواصلة عمله كناسخ) .

الشيخ كليل البصر :- (يزعق ساخطاً)

لعن الله الرغيف الذى لا يصب إلا بضياع نور العين .

أبو سعيد السيرافى :-

الصبر يا شيخ – فها أنا أنسخ فى اليوم عشر ورقات بعشرة دراهم ، أتقوت بها بالكاد .

أبو سليمان :-

فلترضَ بنصيبك يا شيخ . فها أنا فى مثل هذا السن ومازلت بحاجة إلى رغيف ومع وسعى وقولى كعالم قد عجزت هذا الشهر عن أجرة مسكنى وعن وجبة غذاء وعشاء .

الشيخ كليل البصرِ :-

أنتما لا عيال لكما – أنا أعول سبعة من العيال وأمهم .. ماذا أفعل لو نور عيناى انطفأ ؟! (من خلال دموعه) يا محنة الله كفى – وإن لم تكفى فخفى .

التوحيدى :- (مازحًا بمرارة)

سافرت أطلب بختى فقيل لى توقف .

ابن لنكك :- (ساخرًا بمرارة)

ثور ينال الثريا وعالم متخفى .

أبو سليمان :-

الحمد لله . شكرًا على نقاوة حرفى .

ابن لنكك :- (ينشد بمرارة)

زمان تفرغ للفضول

يسود كل ذى حمق خمول

فإن أحببتم فيه ارتياحًا

فكونوا جاهلين بلا عقول

(الشيخ كليل البصر .. يصرخ فجأة باكيًا وقد فقد بصره تمامًا).

الشيخ فاقد البصر :-

عيناى . لم أعد أبصر الحروف أمامى، لم أعد أبصر الورق . لقد انطفأ نور عينىّ .

التوحيدى :-

اطمئن يا عمنا – حرارة الصيف لعلها قد أثرت على أعـصاب الإبـصار لفترة فلترح عيناك قليلاً .

الشيخ الأعمى :-

عيالى السبعة وأمهم جوعى فى البيت ينتظرون القوت .

السيرافى :-

تشجع يا شيخ .. لعلك تحتاج إلى قليل من نوم .. بعـده تـسترد بـصرك.
(التوحيدى وابن لنكك يساعدان الشيخ ليقف وبأخذانه إلى داخل أحد دكاكين الوراقة ليربح عينه).

التوحيدى :-

هيا يا عمنا – فلتسترح قليلاً داخل هذا الدكان . فلتغسل وجهك ..وبـإذن الله سيعود إليك بصرك .

(ثم يعود التوحيدى وابن لنكك إلى مكانهما لمواصلة عملهما فى النسخ) .

ابن لنكك :- (ينشد بمرارة)

جار الزمان علينا فى تصرفه.

التوحيدى :- (يكمل البيت)

وأى دهر على الأحرار لم يجر ؟!

ابن لنكك :- (مازحًا بمرارة)

عندى من الدهر ما لو أن أيسره

يلقى على الفلك الدوار لم يدر

التوحيدى :-

اللهم اسمع واستجب لقد برح البلاء.

ناسخ (١) :-

وغلب الجفاء.

ناسخ (٢) :-

وطال الانتظار.

ناسخ (٣) :-

ووقع اليأس.

ناسخ (٤) :-

ومرض الأمل.

ناسخ (٥) :-

وخاب الرجاء.

ابن لنكك :-

نحن والله فى زمان غشوم

لو رأيناه فى المنام فزعنا

يصبح الناس فيه من سوء حال

حق من مات منهم أن يهنأ

(من داخل الدكان يظهر صاحبه صارخًا) .

صاحب الدكان :-

لا حول ولا قوة إلا بالله ... الشيخ دخل مرحاض الدكان وبدلا من أن يغتسل شنق نفسه بحبل متدل من السقف .

الجميع :- (بذعر شديد)

إنا لله وإنا إليه راجعون .

((تلاشٍ سريع))

المشهد السادس والعشرون

خارجي **ما بعد منتصف ليل شتوى**

[مازلنا فى وكالة الوراقين جسد أبى حيان التوحيدى يتأرجح معلقًا من عنقه بحبل متين يتدلى من أعلى واجهة مدخل الدكان الذى انتحر بداخله الشيخ كليل البصر بعد فقده بصره تمامًا . أمام الدكان هناك جمع خفير ينقسم إلى مجموعتين].

المجموعة الأولى :-

تضم ابن لنكك البصرى والخوارزمى والشيخ كليل البصر الذى سبق وانتحر بالمشهد السابق ومعهم بقية الناسخين .. بما فيهم أبوسليمان السجستانى وأبو سعيد السيرافى .

المجموعة الثانية :-

(وتضم الوزيرين أبا الفضل بن العميد والصاحب بن عباد وابن فارس وآخرين من الكبراء . وربما أبا الوفاء المهندس) .

المجموعة الأولى :-

- لله دارك يا أبا حيان *- لقد خلص نفسه من شقاء كان قد طال*

- وحال كان ممقوتًا فيه *- مهجورًا من أجله*

- مع فاقة شديدة *- وإضافة متصلة*

- وبابًا كلما قصده أغلق دونه *- ووجه كلما أمه أعرض عنه*

- وصديق إذا سأله اعتل عليه *- نعم ما أتاه التوحيدى*

- لعمرى نعم ما عمل

- عمل التوحيدى عمل الرجال *- هذا يدل على حرارة نفسه وكبر همته*

- ولله أبوه ما أحسن ما اهتدى وقوى عليه .

– كل عاقل يدفع ما دفع إليه التوحيدى أن يقتدى به .

– ويصير إلى رأيه واختياره .

المجموعة الثانية :–

(شماتة – تسخر وتلعن)

زنديق – كافر – مارق

– ألم يسمع التوحيدى أن الشريعة – أى شريعة يشاء

– قديمة أو حديثة – تنهى عن قتل النفس ؟!

– لقد أتى التوحيدى ما عجل الله به – العار

– وأخر عليه عذاب النار – كافر – ملحد

– زنديق . . . مارق . . . ألم يعلم هذا الزنديق أن أدنى ما فى هذا الفعل

– المكروه بالعقل – الفاحش بالسماع – المقشعر عنه بالطبع

– المنهى عنه من الأول والأخر – والمستسقط من يقدم عليه

– وألا يختار ما يهجنه عليه أهل البديهة والرواية – وأصحاب الديانة

– والمروءة – ليست من حق هذا المارق أن يحطم جسده

– جسد الإنسان . هيكل يسكنه الإنسان بأمر من أسكنه

– كافر ملحد – زنديق مارق

(وتتصاعد صرخات المجموعة الثانية وتتوحش لتصبح وكأنها أصوات وحوش ضارية) .

((تلاشٍ سريع))

المشهد السابع والعشرون

خارجي بعد منتصف ليل شتوى

[نفس وكانة الوراقين والمجموعة الثانية تحولت إلى سباع وضباع وذئاب وكلاب تتجاذب فيما بينها جسد التوحيدى وتمزقه بوحشية – وتلتهم أعضاءه والدماء تسيل من بين أنيابهم ومخالبهم] .

صرخات التوحيدى :- (فى ذروتها)

الدنيا دار – غابة ناسها سباع ضارية – كلاب عاوية – عقارب لساعة – أفاع نهاشة .

(تتصاعد صرخات التوحيدى – مع توحش صرخات وأصوات الوحوش بينما تلتهم جسده وتمص دمه بلا رحمة)

((تلاشٍ سريع))

المشهد الثامن والعشرون

داخلى **منتصف ليل شتوى**

[عودة إلى مسكن التوحيدى – التوحيدى فى ذروة كابوسة الجحيمى]

صرخات التوحيدى :-

لا – الرحمة ! لا تمزقونى ! النجدة ! الرحمة !

(يهب التوحيدى من كابوسه ليجد نفسه نائمًا على الحصيرة المتهرئة وبجواره يجلس الكاتب المعاصر – الدويرى يهدئ من ذعر التوحيدى من كابوسه).

الدويرى :-

عمنا أبا حيان فلتهدأ .

التوحيدى :-

كابوس فظيع .

الدويرى :-

عمنا أبو حيان فلتواصل معى رحلتك لأتعرف بالتفصيل . بالصوت والصورة كما نقول فى أيامنا هذه عن معاناتك و ....

التوحيدى :-

بعد عودتى خائب الرجاء محبط الأمل من غربتى التقيت بمن كنت أعتقد أنه صديق – التقيت بأبى الوفاء المهندس وخلال هذا اللقاء استرجعت له الكثير – الكثير عن سنوات غربتى – فاستعد لتصحبنى إلى غرفة مكتب أبى الوفاء المهندس فى بغداد .

((تلاشٍ بطىء))

المشهد التاسع والعشرون

داخلى **ما بعد ظهر يوم**
شتوى

[عودة إلى غرفة المكتب فى دار أبى الوفاء المهندس ومعه التوحيدى يواصل استرجاع ماضيه] ...

التوحيدى :-

فارقت باب الصاحب هاربًا إلى مدينة السلام بغير زاد ولا رحلة ولم يعطنى فى مدة ثلاثة سنوات درهمًا واحد ولا قيمة درهم واحد .

أبو الوفاء :-

بالرغم من كشفى لك حقيقة الصاحب بن عباد عدت إلى الرى لتقف ببابه .

التوحيدى :- (يغمغم شارد الذهن)

نداء غامض - ملح فى أعماقى ظل يجذبنى جذبًا للعودة إلى الرى لانتجاع الصاحب بن عباد .

أبو الوفاء :-

أو لعلك قد وجدتها فرصة ذهبية لتستفيد من كره وعداوة الصاحب لآل العميد الذين لم يحققوا مطامعك .

التوحيدى :- (ملدوغًا يشهق)

سامحك الله يا شيخ أبا الوفاء .

أبو الوفاء :-

لِمَ إذن قصدت الصاحب وأنت تعلم عنه ما تعلم ؟!

التوحيدى :- (بارتباك واضح)

- أبو بكر الخوارزمى صديق شبابى كان ينتجع الصاحب ولفترة طويلة مما شجعنى على أن أجرب نحسى مع الصاحب بن عباد .

أبو الوفاء :- (ضاحكًا)

تقصد تجرب حظك .

التوحيدى :- (بمرارة)

أنا لاحظ لى.. دائمًا حظى دقيق منثور فى حقل شوك فى يوم عاصف حظى مثل زمنى قاسيًا لذا الفشل يلاحقنى - النحس يلاحقنى كظلى. النحس قرينى الأزلى.

أبو الوفاء :-

لا تعلق فشلك على الحظ والنحس ، لسانك وطبعك هما سر فشلك الدائم .

التوحيدى :-

أعترف لك يا شيخ أبا الوفاء - لسانى مفلوت - طبعى جامح (مازحًا) ولهذا كنت أعمل بنصيحة صديق شبابى ابن إسحق الصابى، فكنت قبل لقاء الصاحب ابن عباد فى مجالسه بل وأثناء اللقاء - كنت أردد تعويذتى الشهيرة.

أبو الوفاء :- (ضاحكًا)

تعويذتك الشهيرة ؟!

التوحيدى :- (يردد تعويذته هامسًا)

اللهم أعوذ بك من زلات لسانى المفلوت وأسألك أن تكفينى حصاد هذا اللسان وغرامة هذا الطابع وطغيان هذه النفس فأنت أسمع مقصود وأكرم مسئول .

(ينفجر أبو الوفاء ضاحكًا فى قهقهات مرتفعة) .

أبو الوفاء :-

ومع ذلك تعويذتك الشهيرة لم تفلح مع الصاحب .

التوحيدى :-

كما لم تفلح من قبل مع أبى الفضل بن العميد ومن قبلها لم تفلح مع الـوزير الشاعر محمد المهلبى .

(ترتفع ضحكات أبى الوفاء المهندس)

أبو الوفاء :- (ساخرًا)

يا لسوء حظك يا أبا حيان !

التوحيدى :-

وهذا ما توقعته قبل سفرى للصاحب فأنا أعرف بلسانى وبطبعى وبنفسى .

أبو الوفاء :-

ومع ذلك سافرت .

التوحيدى :-

كان لا بد أن ألتقى بالصاحب فهو قدرى وأنا قدره ، ولقاؤنا كان حتميًا بأمر القدر .

أبو الوفاء :-

وهكذا عدت من انتجاعك لآل العميد ومن بعدهما الصاحب بن عباد – عدت مغيظًا منهم مقروح الكبد .

التوحيدى :-

الحرمان المر والصد القبيح اللقاء ، الكريه والجفاء الفاحش ، القذع المـؤلم والمعاملة السيئة والتغافل عن ثواب خدمتى لهم وحبس أجرتى على النسخ والوراقة

فضلاً عن التهجم المتوالى عند كل لحظة وكل لفظة – وأكثر مـن هـذا الكثيـر سأرصده فى كتابى .

أبو الوفاء :–

كتابك ؟!

التوحيدى :–

أخلاق الوزيرين وربما أسميه ذم الوزيرين .

أبو الوفاء :– (ساخرًا)

وكعادتك طبعًا – ستعمل لسانك الشتام فى عرض الوزيرين وطولهما .

التوحيدى :–

جرعة الحرمان أمر من جرعة الثكل ! ضياع التأمل أمضى من المـوت ! خدمة من لا يجعله الله لها أهلاً أشد من الفقر .

أبو الوفاء :–

لهذا ضمنت لك تلافى ذلك كله بصادق الشفقة وخالص الضمير ووعـدتك صالح الحال .

التوحيدى :–

فألحقتنى عاملاً بالبيمارستان العضدى .

أبو الوفاء :–

لتجد ما تعول به نفسك (مازحًا) بدلاً من الانتحار فى منامك .

التوحيدى :–

واستنسختنى كتاب الحيوان للجاحظ .

أبو الوفاء :-

لأنى وجدتك معتن به ومتوفر على تصحيحه .

التوحيدى :-

أنا خادمك يا شيخ أبا الوفاء خادمك الممتن الشكور .

أبو الوفاء :-

قريبًا سأقدمك للوزير ابن سعدان وزير مولانا صمصام الدولة البويهى سأوصلك لمجلس الوزير لتؤنسه بأحاديثك وتمتعه ليال طوال .

((تلاشٍ بطىء))

المشهد الثلاثون

داخلى **ليل صيفى**

[فى مجلس الوزير ابن سعدان العارض ويضم

أبو الوفاء المهندس	حوالى (٥٥) عام
ابن مسكوية الخازن	حوالى (٥٠) عام
عبد الله بن الحجاج الشاعر الماجن	حوالى (٦٥) عام
الفيلسوف ابن زرعة الفيلسوف النصرانى	حوالى (٦٠) عام

أبو حيان التوحيدى حوالى الستين من عمره] .

الوزير ابن سعدان :-

أبا حيان لقد سألت عنك مرات شيخنا أبا الوفاء المهندس فذكر أنك راع لأمر البيمارستان بتوصية منه .

التوحيدى :-

بارك الله فى الشيخ أبى الوفاء المهندس وأدام عزه وجاهه .

الوزير :-

أربأ بك عن ذلك ولعلى أعرضك لشىء أنبه من العمل فى البيمارستان وأجدى – ولذلك فقد تاقت نفسى إلى حضورك للمحادثة والتأنيس لأتعرف منك على أشياء كثيرة مختلفة تتردد فى نفسى على مر الزمان وأريدك أن ترد على ما أسألك عنه بملء فيك وجم خاطرك، دع عنك تفنن البغداديين ولا تجبن جبن الضعفاء وتتأطر تأطر الأغبياء .

التوحيدى :-

لك ما تريد يا سيدى الوزير فقط أود أن ...

الوزير :-

قل – عافاك الله – ما بدا لك فأنت مجاب إليه ما دمت ضامنا لبلوغ إرادتنا منك وإصابة غرضنا بك

التوحيدى :-

فقط يؤذن لى فى كاف المخاطبة وتاء المواجهة.

الوزير :-

لك ذلك – وأنت المأذون فيه وكذلك غيرك – إن الله تعالى – على علو شأنه وبسطة ملكه وقدرته على جميع خلقه يواجه بالتاء والكاف وإنى لأعجب من قوم يرغبون عن هذا وشبهه . هيهات لا تكون الرياسة حتى تصفو من شوائب الخيلاء ومن مقابح الزهو والكبرياء .

التوحيدى :-

أيها الوزير – قد خالطت العلماء وخدمت الكبراء وتصفحت أحوال الناس فى أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم فما سمعت هذا المعنى من أحد على هذه السياقة الحسنة والحجة الشافية والبلاغ المبين ، وقد قال بعض السلف الصالح "ما تعاظم أحد على ما دونه إلا بقدر ما تصاغر لمن فوقه" والتصاغر دواء النفس وسجية أهل البصيرة فى الدنيا والدين.

الوزير ابن سعدان :- (فجأة)

قد والله ضاق صدرى بالغيظ لما يبلغنى عن العامة من خوضها فى سياستنا.

الحضور :- (بأصوات متداخلة)

- هون عليك يا وزيرنا الهمام **- إنهم غوغاء**

- انتفاضة عيارين **- انتفاضة حرامية !**

الوزير ابن سعدان :-

أبا حيان – حدثنى عما تسمع من العامة فى سياستنا .

التوحيدى :- (مترددًا يبحث عن الكلمات)

حضرة الوزير ! أعلى الله كلمتك . وأدام غبطتك ووالى نعمتك – لقد سمعتهم بباب الطاق يقولون ...

الوزير ابن سعدان :-

ماذا يقولون ؟ .. تكلم يا أبا حيان – ماذا يقولون ؟!

التوحيدى :-

قالوا أو تقولوا إنه قد اجتمع الناس اليوم على الشط – فلما نزل الوزير ابن سعدان ليركب المركب ؟! صاحوا وضجوا و ...

(أصوات جموع غامضة تُسمع من خارج المشهد وتتسلل تدريجيًا)

((تلاشٍ بطىء))

المشهد الواحد والثلاثون

خارجي **نهار صيفي**

[على شط نهر دجلة حيث ترسو بعض المراكب جموع غاضبة من جميع الطبقات ترجم مركبًا بعينها]

الجموع الغاضبة :- (أصوات غامضة)

- لقد أنسيتنا لين العيش – وطيب الحياة
- فرحنا معدوم
- ضياعنا مسروقة
- أموالنا مصادرة
- بيوتنا سكنها الأعاجم
- حريمنا مستباح
- نعمنا مسلوبة
- نقدنا عملتنا زائفة
- خراجنا مضاعف
- البيمارستان بلا أطباء
- وبلا دواء
- مساجدنا خربة
- لم لا تسمعنا يا ابن سعدان ؟! صدورنا توشك على الانفجار

(هنا يندفع من جميع الجهات عسكر الديلم يطاردون وحشية الجموع الغاضبة)

(الجموع الغاضبة وقد قهرها عسكر الديلم بوحشية تجأر بالشكوى من خلال دموعها) .

الجموع المقهورة :- (من خلال دموعها وألمها)

بليتنا متصلة .. دموعنا سخينة !!

(الوزير ابن سعدان – وكان قد ظهر من داخل مركبه – يقف على سطحها يتابع بنشوة واضحة مطاردة العسكر للجموع الغاضبة حتى قهرها تمامًا)

الوزير ابن سعدان :- (من خلال ضحكاته الشمتة)

يا حثالة البقر – بعد لم تأكلوا النخالة !!

(مع ارتفاع ضحكاته)

صوت الوزير ابن سعدان :- (من المشهد السابق)

والله ما قلت هذا

((تلاشٍ سريع))

المشهد الثانى والثلاثون

[عودة إلى مجلس الوزير ابن سعدان نفس الحضور]

داخلى **ليل صيفى**

الوزير ابن سعدان :- (مكملا دفاعه)

والله ما قلت هذا ولا خطر لى على بال ! ولِمَ أقابل عامة جاهلة ضعيفة جائعة بمثل هذه الكلمات الخشناء ؟ هذا والله ما يقوله ويشيعه عنى من عشق الشر وأحب الفساد وقصد التشنيع على أنه هذا العدو- الكلب الطامع .

التوحيدى :- (يكمل مجاريًا)

الطامع فى الوزارة - خيب الله أماله - أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف كاتب رسائل أميرنا صمصام الدولة أطال الله عمر جلالته -

الوزير ابن سعدان :-

كفانى الله شر ابن يوسف لدى الأمير ، فهو دائمًا لصيق أذنيه يفح فيها بكيده لى ..

التوحيدى :-

اللهم نكس كيده على رأسه.

الوزير :-

والله لأنظرن للعامة وللفقراء بمال أطلقه من الخزانة وأرسم ببيع الخبز ثمانية بدرهم .

التوحيدى :-

أحسن الله جزاء حضرة الوزير .. والله يزيدك ويزيدنا بك ولا يبتلينا بفقد ما ألفناه منك بمنه وجوده .

الوزير :-

ويصل ذلك إلى الفقراء .. فى كل محله على ما يذكر شيخها .

التوحيدى :-

وهكذا ينتشر الدعاء لحضرة الوزير فى الجوامع والمجامع .

الوزير :-

لعل هذا يخرس نباح ابن يوسف .

((قطع))

المشهد الثالث والثلاثون

داخلى **ما بعد ظهر يوم صيفى حار**

[عودة سريعة إلى حجرة مكتب أبى الوفاء المهندس – ومعه التوحيدى]

أبو الوفاء :– (ينهره بحدة)

رتبت لك هذا كله ولم أقطع عنك عادتى معك مع الاسترسال .

التوحيدى :–

الشيخ مولى وأنا عبد آمره وأنا مؤتمر . أنت مصطنع وأنا صنيعة أنت المأمول وأنا الآمل .

أبو الوفاء :–

كنت عزا لا هيئتك ولا لبستك تليق بلقاء الكبراء . مراءك ولا عاداتك تليق بمحاورة الوزراء .

التوحيدى :– (يخفى ضيقه بالمزاح)

البذاءة من الإيمان يا شيخ .

أبو الوفاء :–

مخالطتك للصوفية والغرباء والأدنياء والأردياء أكسبتك الفسولة و ...

التوحيدى :–

يا شيخ .. ما مناسبة هذا الكلام ؟

أبو الوفاء :–

ومع ذلك إنك تعدو طورك بالتشدق وتتجاوز حدك بالاستحقار وتتطاول إلى ما ليس و ...

التوحيدى :-

يا شيخ أبا الوفاء – ما مبرر هذا الموجدة الحادة من صنيعتك وعبدك ؟

أبو الوفاء :-

لعلك تظن أنك بجلوسك إلى الوزير ابن سعدان قد بلغت الغاية وملكت المكانة وادع القلب ، وانقطعت حاجتك غنن عن من هو دون الوزير فوقع استغناؤك عن جاهى ولطفى وتوصيلى ..

التوحيدى :-

حاشا لله يا شيخ أن يكون هذا تفكيرى .

أبو الوفاء :- (مهددًا بوضوح)

إن من قدر على وصولك يقدر على فصولك، ومن صعد بك حين أراد – ينزل بك إذا شاء

التوحيدى :-

يا شيخ – لِمَ كل هذا ؟ وما المطلوب منى لأتحاشى وعيدك ؟

أبو الوفاء :-

أليس من حقى أنا ولى نعمتك أن تطلعنى على جميع ما تحاورتما فيه حضرة الوزير ابن سعدان وأنت ومتى لم تفعل فانتظر غضبى و ...

التوحيدى :-

ولماذا لا أفعل أيها الشيخ ، عطف الله قلبك علىَّ وألهمك الإحسان إلىَّ .... أأنا أدع الشيخ أبا الوفاء المهندس واجدا علىَّ ؟ أأرقد وأنت ماقت علىَّ ؟ أأنسى أياديك وهى طوق رقبتى ؟

أبو الوفاء :-

لماذا إذن فاتك أن تفعل ما كان يجب أن تفعله ؟

التوحيدى :-

إننى ظننت ظنًا - لا كيقين - أن شيئًا مما كنت فيه مع حضرة الوزير ابن سعدان - أم الله أيامه وقصم أعداءه - ليس ما يهمك ولا هو مما يقرع سمعك سماعك له ولكن حيث إن الأمر قد جرى على غير ما كان فى حسابى سأسجل كل ما دار فى حضرة الوزير فى رسالة أو كتاب وليكن عنوانه : "ليالى الإمتاع والمؤانسة".

أبو الوفاء :-

"الإمتاع والمؤانسة" ؟ - وكفى عنوان أفضل لكتابك .

التوحيدى :-

فليكن وسأهديه إلى الشيخ أبى الوفاء المهندس .

أبو الوفاء :-

وهكذا تغسل الوسخ الذى كان بينى . وبينك والآن يمكنك الانصراف لتبدأ كتابة كتابك "الإمتاع والمؤانسة" .

(أبو حيان يتجاهل الإشارة بالانصراف) .

التوحيدى :-

خلال أسابيع قليلة سأنتهى من الكتاب وسأوافى الشيخ بما أنتهى من كتابته كل أسبوع.

أبو الوفاء :-

وأنا بدورى سأرسل بفائق غلامى لتسلمه أجزاء الكتاب تباعًا مع نهاية كل أسبوع .. اتفقنا يا أبا حيان انصرف لتبدأ الكتابة .

(أبو حيان التوحيدى - حرجًا يقف دون أن يتحرك) .

أبو الوفاء :-

تريد أن تقبض مكافأة الإمتاع والمؤانسة قبل أن تبدأ كتابته ؟

التوحيدى :-

الشيخ سيد العارفين – الأوراق الأحبار والخبز والزيتون لأسكت الكلاب العاوية فى معدتى . نباحها يعوقنى من الكتابة .

أبو الوفاء :-

لن أعطيك درهمًا قبل أن تنتهى من الجزء الأول على الأقل – هيا وكفاك إلحاحا يا أبا حيان .

(التوحيدى بعد تردد يندفع إلى أبى الوفاء فى استجداء واضح)

التوحيدى :-

يا شيخ أبا الوفاء .. خلصنى من التكفف ، أنقذنى من يأس الفقر ، أطلقنى من قيد الضر .

(أبو الوفاء المهندس – ينفجر ضاحكًا ساخرًا)

أبو الوفاء :- (ساخرًا يضحك)

ها هو أبو حيان الملحاح فى لحظة – استحال إلى أبى حيان الشاكى الباكى .

التوحيدى :-

يا شيخ استرنى بالإحسان اكفنى مؤونة الغداء والعشاء .

(يعاود أبو الوفاء الضحك الساخر)

أبو الوفاء :-

ها هو وجه جديد لك يا أبا حيان . المكدى الساسانى يستجدى غذاءه وعشاءه. ألم تتناول غداءك على مائدتى منذ لحظات يا توحيدى ؟

التوحيدى :- (ساخرًا بمرارة)

تغذيتى بوعد كالعسل وتعشينى بيأس كالحنظل ، بشمالك تدنينى إلى حظك وبيمينك تجذبنى عن نيله .

أبو الوفاء :-

حاذر يا أبا حيان – أن تجرب معى وجهك العياب . حذارى أن تتطاول على بلسانك الشتام الهجام – الحذار – الحذار

التوحيدى :-

معذرة يا شيخ أبا الوفاء غالظت فى القول لعلمى بغالب حلمك وفرط احتمالك ، وإن خاشنت فللثقة بحسن إيجابك وإن شكوت وتظلمت فللدالة التى تغلط بها الخدم وإن استزدتك فللنهم الذى قلما .. يخلو منه البشر .

أبو الوفاء :- (وقد عاود الضحك)

(ساخرًا)

وها هو الوجه الآخر بعد الألف – ألف وجه ووجه وجهك يا أبا حيان (أبو حيان التوحيدى يعانى داخليًا من اضطراره إلى قول ما يقول – المعاناة متساعدة)

التوحيدى :-

يا شيخ استعمل لسانى – لسانى يجيد فنون المديح . بلسانى أتحدث عن فضايلك الظاهرة والباطنة دعوى أقوى من دعوى الشيعين وأضرب فى ذلك كل مثل وأستعين بكل سجع .

أبو الوفاء :-

فلتسمعنى إذًا فاصلاً من سجع لسانك الساجع فى أفضالى يا أبا حيان .

التوحيدى :- (من خلال معاناته الداخلية)

بابك مغشى مزور ، خوانك محضور غداءك حاضر. عشاءك جاهز – وجهك مبسوط . عفوك محمود كل أمرك قائم على النهاية وبالغ الغاية والله يزيدك ويزيدنا معك ولا يبتلينا بفقد ما ألفناه منك .

أبو الوفاء :- (ترتفع ضحكات أبى الوفاء المهندس)

أحسنت السجع يا أبا سجاع التوحيدى – والآن إلى دارك لتبدأ كتابك .

التوحيدى :-

يا شيخ.......

أبو الوفاء :-

لن أعطيك درهمًا واحدًا وإلا فتر حماسك لكتابة الإمتاع والمؤانسة هيا عد لتنتهى من كتابك بسرعة .

(أبو حيان التوحيدى فى ذروة معاناته الداخلية – تختقه دموع القهر والحاجة).

التوحيدى :- (باكيًا فى انكسار)

الله – الله فى أمرى

(ترتفع ضحكات أبى الوفاء المهندس الساخرة)

((تلاشٍ سريع))

المشهد الرابع والثلاثون

داخلى **ليل صيفى حار**

[مازلنا فى مجلس الوزير ابن سعدان فى ليلة تالية – نفس حضور المجلس باستثناء أبى الوفاء المهندس] .

الوزير :–

أبا حيان – لم لا تداخل صاحب الديوان ؟

التوحيدى :–

أنا رجل حب السلامة غالب على والقناعة بالطفيف محبوبة عندى.

الوزير :–

كنيت عن الكسل بحب السلامة وعن الفسولة بالرضا باليسير لم ترض لنفسك بهذا اللبوس ؟!

التوحيدى :–

إذا كنت لا أصل إلى السلامة إلا بالفسولة ولا أطعم الراحة إلا بالكسل فمرحبًا بهما .

الوزير :–

لكل إنسان رأى واختيار وعادة ومنشأ ومألوف . (الوزير يلح عليه الإحساس والرغبة فى النوم فيثاءب)

الوزير :–

أظن أنه قد نصف الليل مفالينا بملحة الوداع يا أبا حيان .

((تلاشٍ سريع))

المشهد الخامس والثلاثون

داخلى **ليل شتوى**

[مازلنا فى مجلس الوزير ابن سعدان – نفس الحضور – فيما عدا أبا الوفاء المهندس]

الوزير :–

أبا حيان – متى تطيب الدنيا ؟

التوحيدى :–

إذا تفلسف ملوكها وملوك فلاسفتها.

الوزير :–

عندى أن هذا الكلام مدخول لأن الفلسفة لا تصلح إلا لمن رفض الدنيا وفرغ نفسه للدار الآخرة ، فكيف يكون الملك رافضًا للدنيا وقاليًا لها ؟ وهو محتاج إلى سياسة أهلها – والقيام عليها باختلاف مصالحها ونفى مفاسدها وله أولياء يحتاج إلى تدبيرهم وإقامة أبنيتهم والتوسعة عليهم ومواكلتهم ومشاربتهم ومداراتهم والإشراف على سرهم وعلانيتهم .

((تلاشٍ بطىء))

المشهد السادس والثلاثون

داخلى **ليل صيفى**

[مجلس الوزير ابن سعدان – فى إحدى ليال الإمتـاع والمؤانـسة – نفـس الحضور فى المجلس فيما عدا الشيخ أبى الوفاء المهندس]

التوحيدى :-

عندى حديث لا شك حضرة الوزير مطلع عليه وعارف له .

الوزير :- (مهمومًا يتنهد)

أى حديث تقصد يا أبا حيان ؟!

التوحيدى :-

حديث يضحك حضرة الوزير أضحك الله سنه وحقق فى كل خير ظنه .

الوزير :-

أى حديث هذا الذى يضحك سنى يا أبا حيان ؟

التوحيدى :-

حديث ما حدث لابن يوسف فى همذان مع جلالة عضد الدولة ، برد الله مضجعه

الوزير :-

ابن يوسف كان حاجبًا لعضد الدولة وهناك أحداث كثيرة دار حولها الحديث! أى حديث تعنى يا أبا حيان ؟

التوحيدى :-

حديث الصفع يا حضرة الوزير .

(هنا ينفجر الوزير فى الضحك) .

الوزير :-

ياله من حديث يضحك أسنان الفم كلها يا أبا حيان .. ويسرى عن النفس المهمومة بمكائد ابن يوسف !

التوحيدى

ابن جرنبار أحد ضحايا مكائد ابن يوسف يصر على الانتقام منه وفى حضرة جلالة عضد الدولة .

الوزير :-

انتقام .. مبتكر .. صفع ابن يوسف على الخدين بالتبادل .

التوحيدى :-

وأن يقوم بالصفع بالتبادل الحارسان اللذان أمرهما ابن يوسف بالقبض على ابن جرنبار بعد أن كاد له عند ابن يوسف جلالة عضد الدولة .

الوزير :-

ابن يوسف استنجد باكيًا بعضد الدولة ليحميه من انتقام ابن جرنبار .

التوحيدى :- (مقلدًا عضد الدولة)

أجل أنت خادمنا يا ابن يوسف .. ومذهبك معروف فى الطمع والحيلة .. وجر النار إلى قرصك وليس الذنب ذنبك يا ابن يوسف ولكن ذنب من رآك إنسانًا وأنت كلب .

(هنا يضحك الوزير بأقصى قوته ومعه بقية الحضور) ...

التوحيدى :- (من خلال ضحكاته)

ابن يوسف كلب - كلب مصفوع - صدق والله تاج الدولة جلالة عضد الدولة فابن يوسف أخس خلق الله ! أنتن خلق الله !أقذر خلق الله !! أكلب خلق الله.

(ترتفع ضحكات الوزير وبقية المجلس وهنا تتدفع من خلف الستر والأبواب مجموعة البصاصين المسلحين ويحاصرون الوزير والـذين فـي مجلـسه ، وقـد أصابت الجميع المفاجأة بالذعر والرعب الممزوجين بالدهشة) .

(ثم يندفع من مدخل القاعة . أبو القاسم عبد العزيز ابن يوسف أصغر سـنًا من الوزير ابن سعدان) .

ابن يوسف :- (يقرأ)

اقبضوا على الوزير ابن سعدان

(المسلحون يقبضون على الوزير ابن سعدان)

الوزير ابن سعدان :- (يحاول التماسك)

ماذا هناك يا ابن يوسف ؟!

(أفراد المجلس وقد أصابهم الذعر والرعب وخاصة أبـا حيـان التوحيـدى يحاول بعضهم التسلل للخارج) .

ابن يوسف :-

اقبضوا على مجلس النميمة .

(المسلحون يطاردون المتسللين ويقبضون عليهم الواحد بعد الآخر) .

الوزير ابن سعدان :-

ستندم على فعلتك هذه يا ابن يوسف .

(يفرد ابن يوسف رقعة أسطوانية ليقرأها) .

ابن يوسف :- (يقرأ)

أمرنا نحن الأمير صمصام الدولة بسرعة إمساك الحوطة على موجود الوزير السابق بن سعدان وعلى حواصله وأمواله وعلى حريمه وجواريه وغلمانه كما أمرنا بترسيم ابن سعدان فى محبس الجب حتى يكتشف أمره .

التوحيدى :- (يغمغم لنفسه)

الأيام ظهور وبطون .

(هنا يستدير ابن يوسف نحو التوحيدى)

ابن يوسف :-

من أسمع ؟! كلب بهبهان ؟ التوحيدى ؟ كلب يعض الجميع بلا تفريق بين ضيف أو صاحب دار .

التوحيدى :- (يغمغم بصوت مرتعش)

أنا

ابن يوسف :-

أنت يا ابن بياع تمر التوحيد – عجوز هرار – كلب بهبهان النابح دومًا – المعدم طوال حياتك – ليس لديك ما أصادره سوى روحك بعد قلمك البذىء يا أبا حيان.

ابن يوسف :-

(يتوجه بحديثه إلى بقية أفراد المجلس) .

أما أنتم فمجرد أفواه وأشدق لكل العصور تمدح وتنادم لتأكل وتشرب – فقط ستصادر أموالكم وممتلكاتكم ، حريمكم وغلمانكم لحساب ديوان الإمارة وديوان الوزارة مناصفة .

(ثم يعود بحديثه لأبى حيان التوحيدى)

اسمع يا كلب بهبهان أمامك ليل بنهاره لتنفد بجلدك – فلتتــرك بغـداد بــل العراق كله بلا عودة

(ثم يوجه حديثه للمسلحين)

اسحبوا ابن سعدان الوزير السابق إلى السجن.

(يخرج ابن يوسف منتفخ الأوداج ومن خلفه المسلحون وقد سحبوا معهم ابن سعدان فى قيوده) .

التوحيدى :- (يغمغم باكيًا)

الأيام ظهور وبطون .. وكما يسقط الفاضل إذا عانده الحظ كــذلك يرتفــع الساقط إذا ساعده الحظ فهذا هذا

((تلاشٍ سريع))

المشهد السابع والثلاثون

داخلى **منتصف ليل صيفى**

[عودة إلى مسكن التوحيدى – حجرته الجرداء فى إحدى الأحياء الشعبية – ببغداد قرب نهاية القرن الرابع الهجرى . التوحيدى فى السبعين من عمره وقد افترش الأرض يبكى بحرقة لإحساس عميق بالخزى والعار وندما يعض شفتيه ندمًا حتى تدميان . الدويرى الكتاب المعاصر – يقترب منه ضاحكًا ومقلدًا أبا الوفاء المهندس] .

الدويرى :-

أبو حيان التوحيدى – النادم الباكى الشاعر بالخزى والعار – ألف وجه ووجه وجهك يا عمنا أبا حيان .

(هنا يهب التوحيدى فى ثورة غضب وهياج جنونى وينقض على عنق الدويرى وقد استجمع كل قواة – يكاد يخنقه وهو مغيظ حتى الاختناق) .

التوحيدى :-

حتى أنت – يا هذا ؟! من أنت أيها القادم من المستقبل لتسخر منى أنا الحاضر فى القرن الرابع الهجرى ؟! ألا يكفى أنك أيقظتنى – بأحلامك من سابع "موته" ؟ بعد أكثر من ألف عام " أيقظتنى – وحرمتنى من حرق مؤلفاتى .. وبعدها ظللت تطاردنى ليل نهار وتخادعنى بقناع بعد قناع تارة متخفيًا كالقاضى أبى سهل صديقى – وتارة كعين من عيون الوزير بن يوسف وثالثة أنت رسول حبيبى فلان

الدويرى :- (بأنفاس مختنقة)

أكاد أختنق يا عمنا أبا حيان .

التوحيدى :-

وظللت تلح على أيها الملحاح لأصحبك فى رحلة عودة إلى القرن الرابع الهجرى إلى حاضر زمانى وبعينيك أريتك وبأذنيك أسمعتك حال أصحاب القلم

والعلم فى زمانى ومدى العنف والقسوة التى يعاملون بها، وها أنت تـسخر منـــى.
(الدويرى يحاول بصعوبة تخليص عنقه من بين أصابع يدى التوحيدى)

الدويرى :- (بأنفاس مختنقة)

أعتذر لك يا عمنا أبا حيان ، فقط خفف أصابعك عن عنقى .

التوحيدى :-

من أنت أيها المصرى حتى تسخر من أبى حيان التوحيدى !

الدويرى :-

أ - أختنق يا ..

التوحيدى :-

أفى زمانك أصبح سلطان العلم والأدب أعلى من سلطان الولاية ؟!

أفى زمانك أصبح شرف العلم والأدب أعلى من شرف المال والجاه ؟!

(الدويرى وقد تمكن أخيرًا من تخليص عنقه من بين يدى التوحيدى) .

الدويرى :- (يسترد أنفاسه)

فلأعترف لك يا عمنا أبا حيان الحال فى زمانى تقريبًا هو نفس الحال فـــى زمانك .

التوحيدى :- (بدهشة)

نفس الحال؟!

الدويرى :-

فى كثير من الأحوال

التوحيدى :-

نفس الحال بالرغم من القرون الطويلة التى مضت منذ زمانى حتى زمانك؟!!

الدويرى :-

للأسف فى كثير من الأحوال يحدث فى كثير من ...

التوحيدى :- (يقاطعه)

نفس أساليب العنف مع أصحاب الأقلام وأهل العلم ؟!

الدويرى :- (يقاطعه)

نفس العنف مع اختلاف الأساليب فى كثير من بلدان العالم الثالث ومنها لا يزال يحدث فى غالبية البلدان العربية والإسلامية .

التوحيدى :-

فى زمانكم مازلتم توشمون جباه أصحاب الأقلام وأهل العلم باللعنات الأبدية مثلما حدث مع الخوارزمى ؟!

الدويرى :-

الوشم على الجباه عقاب جاهلى غير متحضر.

التوحيدى :-

ومازلتم تلقون بأمثال ابن إسحاق الصابى تحت أقدام الفيلة ؟!

الدويرى :- (ضاحكًا)

لم تعد فى زمننا فيلة لنلقى تحت أقدامها يا عمنا أبا حيان كما أن هذا عقاب جاهلى لا يليق بحضارة القرن العشرين ، عقاب مفضوح ومدان من الإعلام العالمى وجمعيات حقوق الإنسان .

التوحيدى :-

إذن لا عقاب بالمرة لأصحاب القلم وأهل العلم ؟!

الدويرى :-

هناك السجن بعد محاكمات صورية شكلية .

التوحيدى :-

فقط السجن ؟!

الدويرى :-

هناك النفى خارج الوطن بأية تهمة ضد نظام الحكم أو ضد الدين .

التوحيدى :- (يغمغم)

والغربة الأبدية من غربة إلى غربة.

الدويرى :-

وهناك ما هو أقسى من السجن والنفى .

التوحيدى :-

أقسى من السجن والنفى ؟! هو القتل إذن ؟!

الدويرى :-

قتل المبدع حيًا .

التوحيدى :-

قتل المبدع حيًا ... ؟

الدويرى :-

التجاهل المتعمد لإبداع الكاتب أو العالم مع سبق الإصرار والترصد نوع من قتل المبدع حيًا أو نفيه فى وطنه .

التوحيدى :-

وهكذا يعيش فى وطنه أغرب الغرباء.

الدويرى :-

وهناك القتل والسير فى جنازة القتيل .

التوحيدى :-

ماذا تقصد يا ... يا هذا ؟!

الدويرى :-

التصفية الجسدية للمبدع الحر المعارض – بتدبير سرى محكم وبدون ترك آية آثار تدين القاتل ليستطيع السير بسلام فى جنازة المبدع القتيل ودموع التماسيح تسيل على خديه .

التوحيدى :-

كل هذا مازال يجرى فى زمانكم مع أصحاب القلم ؟!

الدويرى :-

فى بلدان العالم الثالث ومنها بلدان عربية وإسلامية وخير مثال لذلك تجده فى (ساخرًا) دار السلام ... بغداد .

(أبو حيان التوحيدى يبدأ فى جمع بقية أغراضه فى جوال كان قد سبق له أن جمع بعضها فيه) .

التوحيدى :– (يغمغم بمرارة)

لك الله يا عراق .

الدويرى :–

إلى أين يا عمنا أبا حيان ؟!

التوحيدى :–

ألا تسمع صياح الديكة ؟! الفجر أوشك على الطلوع ولابد أن أترك بغداد بل العراق – بأمر الوزير ابن يوسف .

الدويرى :–

وماذا عن بقية الرحلة ؟!

التوحيدى :–

الرحلة تقترب من نهاية النهاية .

((قطع))

المشهد الثامن والثلاثون

داخلى **قرب فجر يوم صيفى حار**

[عودة إلى مسكن أبى حيان التوحيدى فى شيراز فارس – قرب نهاية القرن الرابع الهجرى وقرب نهاية حياة أبى حيان التوحيدى] .

(أبو حيان فى نهايات عمره وبجواره يجلس على نفس الحصيرة المتهرئة شبيه التوحيدى الخالق الناطق – إنه الكاتب المعاصر – الدويرى – إنهما صامتان بالهما كاسف والاكتئاب يكسو جبهتهما) .

التوحيدى :–

إذًا هيا نتشاكى ونتباكى .

شبيه التوحيدى :– (ساخرًا)

فلنلعب سويًا لعبة التشاكى والتباكى .

التوحيدى :–

لعلنا نبرد غليلاً.

شبيه التوحيدى :–

أو نشفى عليلاً

التوحيدى :–

لقد صرنا إلى حد العطب منذ استمر بنا كيد الزمان واستبعد .

شبيه التوحيدى :–

وانتهينا إلى حريم اليأس وعرصة القنوط .

التوحيدى :–

لا يجاد لنا بعزاء – ولا يفاوض علينا صبر .

شبيه التوحيدى :-

حتى كان الذنب كله لنا .

التوحيدى :-

وحتى كأنا شقينا بنا .

شبيه التوحيدى :-

وحرمنا منا .

(ثم يبدأن لعبة التحدى .. ويتصاعدان فى تحديهما) .

شبيه التوحيدى :- (ساخرًا يصرخ فى تحد)

يا كيد الزمان.

التوحيدى :- (يجاريه فى التحدى صارخًا)

ويا نكد الأيام.

شبيه التوحيدى :-

هيا نابذانى .

التوحيدى :-

هيا خالفافنى.

شبيه التوحيدى

هيا حاربانى .

التوحيدى :-

فما لك منى إلا ما ترى .

شبيه التوحيدى :-

ولا لك منى إلا ما تسمع .

التوحيدى :-

يا نيران الهجرة توقدى .

شبيه التوحيدى :-

يا مضاجع البلوى تمهدى .

التوحيدى :-

يا غاية المنى تباعدى .

شبيه التوحيدى :-

يا مقادير الدهر تراقدى .

التوحيدى :-

يا حلاوة الهوى أمرى .

شبيه التوحيدى :-

يا مناهل العيش تكدرى .

التوحيدى :-

يا معارف الغيب تنكرى .

شبيه التوحيدى :-

يا حسرات القلب تحرقى.

التوحيدى :-

يا أستار الضمير تهتكى .

شبيه التوحيدى :-

يا معالم الأنس بيدى .

التوحيدى :-

يا عقب الهوى زيدى وزيدى .

التوحيدى

و

شبيه التوحيدى:- (معًا يصرخان)

يا مصائب الدنيا اقصدينى وانزلى بى ! أيا عجائب الدهر والأيام تعجبى منى.

(وقد وصلا إلى ذروة تحديهما وصراخهما يصمتان لفترة – تهدأ أنفسهما تدريجيًا ويمسحان العرق المتصبب منهما – يتبادلان النظر) .

التوحيدى :-

أنزى بردّت غليلاً طالما عهدته يغلى ؟!

شبيه التوحيدى :-

أترى تخلصت من معدن ضاق على بعضى وكلى ؟!

(فجأة ينفجران فى ضحكات عصبية متصاعدة إلى ذروة تنقلب فجأة إلى نحيب حقيقى كالعديد، معًا يعددان) .

شبيهه التوحيدى والتوحيدى :- (معًا يعددان)

اشتد اللغط وكثر الغلط – رجع كل إلى الشطط – أين العقول الصاحبة ؟! أين الأذن الصاغية ؟! أين الألباب الثاقبة ؟! أين القرائح الصافية ؟! أين الأذهان المتوافية ؟! أين الألسن الفصيحة ؟! أين الأخلاق السميحة ؟! أين الأيدى المبسوطة إلى الخيرات ؟! أين التواصى بالنصائح والعظات ؟! هيهات ..هيهات .. زمان أفل

فيه نجم الحق ! غار ماء الإيمان ! تناسى فيه أهله العرف والأصول ! هيهـات .. هيهات .. همدت العيون فما تدمع – تكبرت القلوب فما تخشع . كلبت البطون فمـا تشبع – غلبت الشقوة ! عاد نهار الدين ليلاً– والتلذذ بالعلم حزنًا وويلاً – هيهات . الحاجة فاضحة ! القول مزوق اللفظ منمق – الظاهر ملفق – الباطن ممزق

(هنا تسرع أنفاس التوحيدى ويشعر بالاختناق ويغمى عليـه فيـسقط علـى الأرض كالميت شبيه التوحيدى كالمجنون يحاول إسعافه – ينظر حوله باحثًا عـن وسيلة لإسعافه – بلا جدوى – وأخيرًا يفتح الباب ويخـرج – ليعـود بعـد فتـرة بصحبة إحدى جارات التوحيدى) .

(الجارة فى حوالى الأربعين من عمرها جميلة، يبدو على وجههـا الـسلام الداخلى – تتقدم الجارة وبيدها زجاجة من العطر تقربها من أنف التوحيدى – فيفيق تدريجيًا ويفتح عينيه – فيقع بصره على وجه الجارة فتشرق روحه) .

التوحيدى :-

من ؟! أنت ؟!

الجارة :-

حمدًا لله على سلامتك بعد أذنكما – سأعود حالاً .

(تخرج الجارة مسرعة فى حيوية ونشاط).

شبيه التوحيدى :- (بعتاب)

أتنوى الرحيل دونى ؟!

التوحيدى :- (مازحًا)

وزير جديد يدعونى لانتجاعه .

شبيه التوحيدى :-

ألا تكف عن انتجاع الوزراء؟!

(الجارة – تدخل وعلى راحة يدها طبق تتصاعد منه أبخرة زكية وتفوح منه رائحة لحم أرنب سابح فى شوربته . تجلس الجارة وتبدأ إطعام التوحيدى بملعقة تملأها بالشوربة الساخنة لتضعها فى فم التوحيدى . التوحيدى تدريجيًا يسترد قواه ولكنه لا يرفع عينيه عن وجه الجارة وكأن وجهها يذكره بوجه امرأة كان يعرفها – إنه يحاول تذكرها) .

الجارة :–

أيكما صاحب الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية ؟!

شبيه التوحيدى :–

إنه أبو حيان التوحيدى .

الجارة :–

وأيكما أبو حيان التوحيدى ؟!

التوحيدى :–

أنا أبو حيان التوحيدى .

الجارة :– (لشبيه التوحيدى)

وأنت توأمه ؟!

شبيه التوحيدى :– (بارتباك)

أنا – أنا

التوحيدى :– (مازحًا)

إنه قرينى

الجارة :–

القرين الخير خير واسطة خير سفير – خير شفيع بينك وبين الله .

شبيه التوحيدى :-

أنا ؟!

التوحيدى :-

وجهك يذكرنى بوجه المرأة الوحيدة التى أحببتها - المرأة الأولى والأخيـرة التى ارتبطت بأيام عزى وجاهى .

الجارة :- (مازحة)

تغازلنى يا صاحب الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية ؟!

التوحيدى :- (من خلال دموعه)

حبى الأول والأخير - قتلوها أثناء الفتنة الكبرى وبين ذراعى لفظت أنفاسها الأخيرة .

الجارة :-

الحياة الدنيا أيام معدودة وأنفاس محدودة.

التوحيدى :-

ليتنى ألفظ أنفاسى الأخيرة بين ذراعيك .

شبيه التوحيدى :-

ماذا دهاك يا عجوز ؟!

التوحيدى :-

من أنت ؟! من تكونين ؟!

الجارة :-

أنا جارتك حلاجة

(بدهشة متصاعدة يفغر التوحيدى وشبيهه أفواههما)

التوحيدى وشبيهه :- (معًا بدهشة)

الخالة حلاجة ؟!!

(ثم ينفجران فى ضحكات عصبية متصاعدة)

التوحيدى :-

الحلاجة – علم ولا حلم !

شبيه التوحيدى :-

علم كأنه حلم .

(تتصاعد ضحكات التوحيدى وشبيهه .. التوحيدى أنفاسه تلهث – العرق يتصبب منه بغزارة)

الجارة :-

هل اسم حلاجة يدعو لكل هذا الضحك ؟!

(فترتفع ضحكات التوحيدى أكثر فأكثر فيوشك على الاختناق ومع ذلك يواصل الضحك)

شبيه التوحيدى :-

أبا حيان فلتكف عن الضحك أنفاسك تختنق – توشك أن تموت .

التوحيدى :- (مازحًا)

وزير جديد يدعونى لانتجاعه فى مجلسه الأدبى .

الجارة :-

ليته يدعوك إلى خير ما يُنتجَع – وإلى أشرف المجالس .

التوحيدى :-

إنه عزرائيل – وزير الموت يا حلاجة .

الجارة :-

الموت رحيل من هذه العرصة التى نتجرع فيها ألوان الغصة .

(يتوقف التوحيدى عن الضحك وتعاوده الذكريات القديمة فيسترجعها بأسى ومرارة) .

التوحيدى :- (بأسى ومرارة)

طلبت القوت – لم يكن سبيلى إلا بتعاطى الرياء والنفاق ، إلا ببيع الدين وإراقة ماء الوجه .

الجارة :-

ها أنت مدعو إلى كنف لا ظمأ فيه ولا جوع .

التوحيدى :- (يواصل تأملاته وذكرياته)

إلا بكد البدن وتجرع الأسى معاناة الحرقة ومضغ الحرمان واستحلاب الصبر ألوان .

الجارة :-

كنف لا نصب فيه ولا تعب! ولا قذى ولا أذى ! لا خوف ولا مرض ! لا عرى ولا حاجة لأمراء ولا لجاجة

التوحيدى :- (من خلال دموعه)

من وزير إلى وزير سعيت وعلى باب بعد باب وقفت منتجعًا – فلم ألقَ سوى الحرمان المر والصد القبيح .

(الجارة بحنان أمومى تأخذ رأس التوحيدى على صدرها) .

الجارة :-

فلتأتِ إلى كنف ما أوى أليه أحد إلا وجد أمانا من البؤس .

التوحيدى :-

من مجلس إلى مجلس لم ألقَ إلا اللقاء الكريه والجفاء الفاحش والقذع المؤلم والتغافل عن ثواب خدمتى وحبس أجرتى .

الجارة :-

ها أنت مقدم إلى كنف ما سكنه أحد إلا فاز بالرضوان .. كنف ما لاذ به أحد إلا توج بالعز – كنف ما استنشق هواءه أحد إلا وقى كل سقم . كنف ما ألفه أحد إلا وثق بالكفاية – كنف ما أطلع أحد على ما فيه إلا سلا عن كل ما دونه . كنف ما سمع أحد بوصفه إلا هام عليه .

التوحيدى :-(باكيًا كالطفل)

فضلاً عن التهجم المتوالى عند كل لحظة .. وكل لفظة .

الجارة :-

ها أنت تقترب من كنف ما استقر فيه أحد إلا اختلط بالربوبية – وهنيئًا لك يا صاحب الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية هنيئًا لك كنف العز والقدس كنف الكبرياء – كنف العظمة – كنف الحكمة والجود ، كنف المجد ، والجلال كنف التكرمه والنعمة هنيئًا لك – كنف البهاء والسناء .

(التوحيدى يفيق من إغماءة احتضاره)

التوحيدى :- (مازحًا)

كتفك (مستدركًا) أقصد كنفك يا جارة حلاجة ألذ كنف .

الجارة :- (تعاتبه كأم)

أذكر الله يا صاحب الإشارات الإلهيه والنفاس الروحانية .. أذكر الله فأنت الآن فى مقام خوف .

التوحيدى :- (مازحًا)

مقام خوف ؟!

الجارة :-

وكل يسعى لهذه الساعة .

التوحيدى :- (من خلال ضحكات المازحة)

أى خوف يا جارتى حلاجة ؟! أنا مقدم على رب غفور رحيم لا على جندى أو شرطى أو وزير شاعر.

(وترتفع ضحكاته من خلال أنفاسه المتحشرجة) .

(شبيه التوحيدى والجارة يشاركان التوحيدى ضحكاته .. وتتصاعد ضحكات الثلاثة) .

((تلاشٍ بطىء))

مشهد الختام

ختام كابوسى

داخلى **ليل شتوى**

[فراغ منطقة التمثيل مظلم تمامًا – صفحة سـوداء تـدريجيًا وبمـصاحبة المؤثرات الصوتية المناسبة]

(تظهر فى بؤرة الصفحة السوداء أو لنقل بؤرة الشاشة المظلمة تمامًا تظهر ألسنة نيران تلتهم كومة كتب) .

[وبإضاءة المشهد كاملاً]

(نكتشف أن كومة الكتب المشتعلة فوق المكتب العصرى داخل حجرة مكتب الكاتب المعاصر – الدويرى .. تمامًا كما فى المشهد الكابوسى) .

(كومة الكتب المشتعلة فوق سطح المكتب من حين لآخـر تهتـز بـشدة مصحوبة بـ ...)

صرخات مختنقة

لرجل يعيش كابوسًا جحيميًّا مع ارتفاع وتوحش .

المؤثرات الصوتية للاحتراق

من فوق أرفف المكتب تتساقط متقافزة ، كتب سبعة – الواحد بعد الآخـر – وكأنها تتقافز إلى الأرض هربًا من حريق ثم تهب قافزة عن الأرض على هيئة .

سبع بنات وأولاد

يرتدون أغلفة كتب عصرية مشتعلة – المحترقون أولاد وبنات – يلفون قفزًا حول المكتب وقد انطلقت صرخاتهم مستنجدة .

المحترقون :- (يصرخون)

نحترق – نحترق – نحترق – نحترق .

(من قلب كومة الكتب المحترقة فوق سطح المكتب تقفز رأس الدويرى – الكاتب المعاصر وقد طال رأسه وذقنه وتوحش . يهب الدويرى واقفًا خلف مكتبه – إنه يرتدى نفس الزى الصوفى البالى لأبى حيان التوحيدى – باختصار يبدو الدويرى شبيهًا لدرجة كبيرة بأبى حيان التوحيدى فى شيخوخته – حتى ملامحه اقتربت لدرجة كبيرة من ملامح التوحيدى) .

(الدويرى شبيه التوحيدى يقف خلف مكتبه وكالمجنون يحاول إنقاذ كومة الكتب المحترقة فوق سطح المكتب كاتبًا بعد كتاب) .

الدويرى :- (صارخًا فى ألم)

أوراق العمر تحترق .

المحترقون :-

نحترق – نحترق .

الدويرى :-

الواغش – المحقق – كفر التنهدات .

المحترقون :-

نحترق – نحترق .

الدويرى :-

قطة بسبع – ت – أرواح .

المحترقون :-

نحترق .

الدويرى :-

ولادة متعسرة ثلاث ورقات .

المحترقون :-

نحترق – نحترق .

الدويرى :-

متعلق من عرقوبه .

المحترقون :-

نحترق .

الدويرى :-

بدائع البهلوان فى وقائع الزمان .

المحترقون :-

نحترق – نحترق .

الدويرى :-

طقوس الجفاف خيول النيل .

المحترقون :-

نحترق – نحترق – نحترق – نحترق .

الدويرى :-

خيول الخيال .

المحترقون :-

نحترق – النجدة ! نحترق النجدة !

الدويرى :-

أولاد عقل المبدع يحترقون !! بنات قلب المبدع تحترقن !!

المحترقون :-

نحترق ! النجدة ! نحترق ! النجدة !

الدويرى :-

أى ظلامى ظلوم ذلك الذى يحرق خيول خيال المبدع ؟!

المحترقون :-

مشعلوا الحرائق يحرقوننا النجدة - نحترق - النجدة .

الدويرى :-

إنهم يقتلون الجياد - أليس كذلك ؟! أى حاقد حقود ذلك الذى يقتل خيول المبدع ؟!

المحترقون :-

من لا خيال لهم يتجاهلوننا عمدًا حتى الاحتراق النجدة ! النجدة !

الدويرى :-

من ذا الذى يحرق المبدع حيًا .

المحترقون :-

قتلة الإبداع فى كل زمان فى كل مكان - النجـدة.. نحتـرق ! نحتـرق ! نحترق! نحترق !

الدويرى :-

(خلف كتبه يمسك بقلم ويخط على الأوراق أمامه بينما يغمغم بارتياح)

((تلاشى سريع))


المجلس
الأعلى
للثقافة